معنى الكلمة



من المؤلم حقا أن يصدع المرء برأي يرى فيه الحق والخير، فينادي به، واذا هو، لا كمن يصرخ في واد، ففي الوادي القفر يُسمَع الصدى، ولكنْ، في صخب هـذا المجتمع المحموم باللغو، يفتقد صوته فلا يجـده غير طعمة ذائبة في هدير الأمواج العاتية.

قلت غير مرة — ولست بأول ناقد —، إن مشكلة العرب داخلية قبل أن تكون خارجية، وإنها قائمة في صلب حياتهم، فحياتهم سقيمة وبدائية برغم كل المظاهر الخادعة، وعقليتهم أصبحت من تخلفهـا وراءَ العالم المتحضر، وعزوت ذلك الى عدم تمثل الحضارة الحديثة، والى تبني قشورها البارزة دون الأسس التي وراءَها، والى استخدام هذه القشور في طلاء أسسٍ من الشرق بالية، وحصرت دعائم هذه الحضارة في جوهر رئيسي هو الاخـلاق، وهو الروحية بتعبير آخر، وأبنت أن هذه الروحية الحقيقية هي ما يحتاجه العَرَب، وأنها قائمة فعلًا في الغرب، وأن الروحية الشرقية ولو كان الشرق مَنبتَها، هي في هذا الزمان أكبر أكذوبة يمكن أن تقال... وكلامٌ مثل هذا، يُطلق في وسطٍ مغرم بجموده، حريٌّ بإثارة الحفائظ، واستنفار نقمة الناقمين، إن لم يبلغ من النفوس مبلغ التنبيه وتصميم العمل؛ ولكن شيئاً من هـذا لم يحدث. بل كل الذي حدث، هو استمرار الأوضاع، ومواصلة إطرائهـا بمثل السذاجة التي ألفناها منذ مطلع هذا القرن. وإنَّ موضوعَ الحضارةِ الغربية وموقفِ العرب منها لِمـَّا يُطرح على بساط البحث أحياناً، وإنَّ من عناصرها ما يَلقى التحبيذ من أجل الاقتباس، ولكنَّ هناك ما يشبه الإجماع على نبذ الأخلاق منها باعتبار فسادها، وعلى التمسك بما يسمونه أخلاق الشرق أو روحيته، وهو شاهد ليس أدل منه على إغفال روح تلك الحضارة ومعناها. وبين هؤلاء المجمعين كثيرٌ ممّن يقرأون ولا يعترضون، أو يقتنعون فيعملون، فبأي منطق يأخذون؟ وهل كانت القراءة أو الكتابة يوماً مجرد تسلية؟ وما قيمة الحياة إنْ لم تكن تعبيراً صادقاً عن فكرة، وصورة ناطقة لرأي؟...

يبدو أن الكلمة قد فقدت عند العرب أهمية معناها. ولا غرو، فما زلنا إجمـالاً في مرحلة العبودية لظاهرة الاقتداء والتأثر بسلطان المثال المجسَّم، ونحن لم نؤخذ بعد بجاذبية الفكر والتجريد، لكي ندرك ما للكلمة أو للفكرة من قيمة، وما قد تحمل بتجريدها من قدرة على خلق المثال ذاته، وعلى التحوُّل بذلك الى تحقق وعمل. فالفكرة في نظر العربي قالبٌ مُفرَّغ، يحتاج دائما الى مَن يَلبَسُهُ مع شيء من مظهر البأس، لكي يأخذ بأسباب الحيـاة. وكلُّ ما تأثرت به عقلية العربي حتى الآن كان «الأشخاص» وكلّ ما اعتنقته من مبادىء جاءَها عن طريق تحقق هذه المبادىء في سِيَر أشخاصٍ كان لهم نفوذٌ ما. وآيات ذلك في التاريخ العربي جمة، أما اليوم فآيات ذلك أقوى وأبلغ، ونظرة واحدة الى الحيـاة الاجتماعية، والى كيفية «هضم» الأفكار قديمها وحديثها، كافية لإعطاء الدليل القاطع والمثال الحي.

أما أولئك المستصلحون، فأشد ما يؤلم من سذاجتهم ذلك الجهل لحقيقة مفهوم الأخلاق. يحبذ بعضهم العلوم، ويطالب بقصر الاقتباس من الغرب عليها، ولكن هل من العلم في شيء أن ندرسه دون أن نبحثه، وأن ننقله من غير أن تتطور عقليتنا به، فتكتسب «الروح العلمية» التي لا أثر لها عندنا؟ وهل الروح العلمية، في انبثاقها عن قيمة الحقيقة، غير خلق أساسي من الأخلاق القويمة التي تستجيب للقيم المطلقة وحدها في ظل الاقتناع والوَجد الخالص، والتي تتعارض واخلاقنا؟ وأنَّى لهذه الروح التفتح والحيـاة في كنف أخـلاقٍ تنأى عن معنى الحرية، ولا تستلهم غير الإذعان الغيبي والشعور بالخوف؟ أليس الأجدر بنا استبدال أخلاقنا، ليستقيم لنا سبر روح العلم؟

ولكن علام السؤال؟ فمنذا الذي يصغي أو يجيب؟ إن دوّامة الشؤون الآنية هي الشغل الشاغل، وما على الكاتب، كما يظهر، إلاّ أن يختار بين الكفاح اللاغي وبين اليأس.

محمد وهبي

جون كيتس شاعر الجمال

بقلم صلاح الدين الحايري

*

اعود فأتحدث حديثا سهلا* عن شاعر رقيق يصرفنا ولو الى حين عن شؤون الفلاسفة واعلام الفكر وتحليل شخصياتهم الفذة وآرائهم المعقدة. والحديث عن الشعر والشعراء حديث طلي تطرب له النفس وينتشي الفؤاد ويتوفز الحس،فالصلة الواشجة التي تربط الشاعر بينابيع الحياة الأصيلة وافاويقها الثرة هي صلة البنوة العفوية اللحة تختزل في سماتها ألغاز الخليقة وتلتمع في آثارها الرفيعة ومضات من اسرار الكون الخفية البينة معاً. والسر المكشوف – كما يقول كوته الخالد – هو اعظم الاسرار واجلها . وحديثنا يتناول في هذه الامسية جون كيتس وهو من ارق شعراء الانكليزية واوثقهم صلة بالطبيعة العذراء واحفلهم بالوانها المخضلة وانغامها العذبة وعطورها الشذية وبسطها السندسية الناعمة . حواس عجيبة تفوق في رهفها ما عرف في البشرية من جوارح ضعيفة قاصرة ، وانطباعات غريبة ينتظم عقدها في مخيلة خصبة مبدعة ويتسق تركيبها في ذاتية فذة تخطر للعيان حللا قشيبة وصوراً رائعة مهيبة وتتجلى قلائد من البيان المشرق والكلم المتناغم الموزون .

يقول اللورد بيرون الشاعر وهو زميل كيتس ومعاصره في معرض الكلام عن قصيدته « هيبريون » : – ارهف السمع فأتخيل كيتس في هذه القصيدة العجيبة وكأنما يستلهم مردة الأغوار وجبابرة الذرى، وكأنه (اسخيليوس) الشاعر الاغريقي في جلاله وسمو مقامه . ومفاد هذا القول ، ان كيتس من افذاذ الشعراء في جميع العصور .

وما أشبه العبقرية بالزهور البرية تتفتح براعمها الندية في الأخاديد والشقوق الصخرية وآية ذلك ان والد كيتس كان خادم اصطبل وان نواميس الوراثة تكاد لا تطيب على تعليل تلك المواهب النادرة التي تحار في مغاليقها العقول . تزوج ذلك الوالد البائس ابنة سيده فاصاب بعض الرخاء وتمكن من ارسال ولده الى مدرسة جيدة في انفلد فعرف فيها بعزة النفس والاريحية . ولم يشرع في التوفر على الدراسة بجد لا يعرف الكلل حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره فنال جوائز رفيعة في الادب ، وكان يواصل المطالعة حتى في ساعات طعامه واوقات راحته ويلتهم كتب الأساطير وينهل من اقاصيصها شهداً روياً . توقفت حياته الدراسية في الخامسة عشرة من عمره فأصبح مساعد جراح ولكنه ما لبث ان انطلق من هذا النطاق الضيق الى افق لندن ومشافيها الوسيعة ليخرج منها في سن العشرين طبيباً مجازاً . وقد عرف خلال دراسته بالاخلاص لمهنته والاقبال عليها بشغف وحماسة ، وكان المبضع في يده طيعاً رضياً ولكنه وجد اثناء قيامه باحدى العمليات ان ذهنه الطليق ومخيلته الجامحة كانا يجوبان في مطارح الخيال البعيدة واصقاع الجن والمردة القصية فقاده ضميره الحي ووجدانه اليقظ الى هجر مهنتــه واستبدل بمبضع الجراح قلم الشاعر .

كان جون كيتس بين الابتداعيين من زملائه ومعاصريه كوكباً ساطعاً وكان اصدقهم رومانتكية وتخيلا وأرقهم تمرداً؛ ولقد نهشه النقاد خلال حياته القصيرة بأنياب وحشية قاطعة وسلقوه بألسنة حداد،فكان ذلك حافزاً للتصعيد بروحه الشاعرية درجات سامقة من الجمال الفني المبدع، واصبح ذا تأثير قوي نافذ في الشعراء والشاعرية خلال القرن التاسع عشر بكامله . وكان في سنيه الاولى مأخوذاً بالأحاسيس الخارجية فقد وصفه صديقه الفنان « جوزيف سفرن » قائلاً : لم يكد يفلت منه شيء فقد كان يستهويه تغريد الطائر ويسمع الركز المنبعث من سياج الحدائق ومخابئها ، ويصيخ الى فحيح الزواحف ويلمح تغير الاضواء الخضراء والرمادية ويكشف الظلال الخاطفة ويحس بحركات الرياح ولوافحها ويتتبع نمو الزهر والنبات ويراقب

* حديث اذيع من محطة دمشق

حركات السحب واتجاهها بل كان يلاحظ ملامح المتشردين واوضاعهم ويعنى بلون ذوائب الكواعب وابتسامة الطفل ، ويلمس الحيوانية المستترة وراء الاهاب الانساني الخادع، ويعبأ بالملابس والقبعات والأحذية اذا لمح فيها اشارة خفية ولو بعيدة الى ذات متسربلها او صاحبها . وكان لبعض الاشياء تأثير نافع في نفسه فقد شبه عبابا من الهواء الثائر بين مجموعة مترنحة من اوراق اشجار الكستناء والسنديان (بموجة موارة بين الدوحات الباسقة) . وكان يصيح مبتهجاً حين سماعه صفير الرياح المقبلة وهي تغمر الحراج (المدّ ! المد !) ثم يرقب عبثها بالمروج والاعشاب والسنابل الغضة وقد التمع الوجد في عينيه وتوهج في وجهه . وفي كتاب بعث به الى صديقه (رايس) وصف حبه للزهور بعبارات ساحرة قائلاً: « يا للدهشة مما يطبعه الكون في احاسيسنا من صنوف الجمال الطبيعي واحسب انني كـ«فولستاف» المسكين افكر في الحقول الخضراء دون ان اهذي هذياناً ، فإنني اتأمل بوله بالغ كل زهرة عرفتها في طفولتي ، فهي تبدو وكأن اشكالها والوانها جديدة في ناظري ، وكأنني ابدعتها وبرأتها بنفسي وكما يشاء تصوري الواهم في تجاوزه القدرة البشرية، وهي هي كذلك لأنها تتصل بأسعد هنيهات حياتنا. لقد شاهدت زهوراً اجنبية في منابت صنعية تتحلى بأسمى آيات الجمال فما أبهت لها لأن بغيتي ان اشاهد زهور الربيع البسيطة في حقولها » .

ولم تجد مشاعره المرهفة وسيطا للافضاء بمكنونات الجوانح ورسم نزوات المخيلة وانطباعاتها غير الشعر وهو وسيط خيّر عجيب تتحول فيه الكلمات البسيطة من يرقاتها الهاجعة الى فراشات زاهية الألوان وانغام علوية يهز ايقاعها كوامن النفوس ويحفزها لنشدان الجمال والخير . ويحسب بعض النقاد والشعراء حين يتحدثون عن حب الطبيعة والاحساس بالجمال الطبيعي كعنصر اساسي في كيان الشاعر وروح الشاعرية ان ذلك الحب رهين بمباهج النظر دون غيره من الحواس الخمس. ويقصدون بذلك الشعور بالشكل واللون والتألق وما شابه ذلك من الصفات المرئية. ولا ريب ان « النظر » -كما يقول ليوناردو دافنشي- هو عزاء النفس في سجنها الجسدي . وانه اهم الحواس لتيسير الاتصال بين الذهن والعالم الخارجي ولكن من الشطط ان نقصر حب الطبيعة بصورة مطلقة على الاحساس بالمباهج البصرية دون غيرها وخيانة للحواس الاخرى فكلها مسالك سوية لاتصال الذهن بالطبيعة وان كان النظر ادقها مسلكاً وافضلها رشداً .

وعندي ان اعظم الخصائص التي يتحلى بها كيتس في هذا الصدد هي شمول حساسيته او توفز حواسه جميعاً . وحسبه ان يضم انطباعات حواس اربع في شطر واحد : [مشيت بين زهور صامتة جذورها رطبة وبراعمها شذية]

ومن خطل الرأي ان ينال الناقد من الشاعر - كما فعل بعضهم بكيتس - بحجة انطوائه على نفسه وارتكازه الى الاشفاق الذاتي ، ووحشة العيش ، والشعور بالخيبة . فالشعر عمل ايجابي اصيل وواجب الناقد النزيه ان لا يتجاوز النظر في هذه القيم الايجابية التي يبدعها الشاعر ويستنبطها من صميم احواله السلبية العفوية نفسها . اراد شاعرنا تحقيق عالم تغتبط له نفسه وتنعم في بحبوحته ورغده فلم يستطع الى ذلك سبيلاً واستعاض عنه ببناء عالم باذخ من الشعر يفيء اليه في همومه وآلامه . وقيمة هذا العالم الطريف مرتبطة بمقدار التوكيد الذاتي في نفس معماره المبدع ، والتوكيد الذاتي (في كيتس) لا يجاوز الحد السوي ولا يعزل الشاعر عن محيطه واقرانه . فالكآبة الموحشة المنبعثة من (انشودة البلبل) مثلاً ، كآبة مألوفة في تجاربنا اليومية وهي تتصف بسحر (رومانتيكي) تخيلي عميق يصل الى حدود النشوة والترنح في بعض سطورها وامثل لذلك باسطر قلائل منها دون ان ازعم الدقة في ادائها لأنّ الشاعر في ادق حالاته الذاتية

لا يطيب على النقل :

لم تلد للموت ايها الطائر الخالد ، ولم تطأك الاجيال الغرثى باقدامها ، وما اسمعه من صوت في هذه الليلة العابرة ، قد اصاخ اليه في الغابر اتباع واباطرة ، ولربما استرقت هذه الانشودة خُطاها الى قلب (روث) الحزين ، وقد اسقمها البعد فوقفت تذرف الدمع بين السنابل الغربية ، وربما كان هو اللحن الذي فتن النوافذ السحرية برقاه وتعاويذه فانفرجت على زبد البحار المخيفة في ديار الجن القصية .

ويكاد الطرف يرتد حسيراً امام معالم الجمال المنبسطة والوانه الزاهية المتشابكة، وتوشك الاذن ان تغرق في فيض انغامه العذبة المتسقة وقد زخرت بها جميعاً اناشيد شاعرنا الجزلة وقصائده البليغة (فانشودة الكآبة مثلاً) ، تجربة حية وشاهد بليغ على عمق الاحساس بامتزاج المشاعر المتناقضة وائتلافها الدينامي . فبلوغ النفس حد الارتواء في الفرح مؤذن بحلول الكآبة وتلاشي البهجة في الافئدة الرهيفة ، فاستمع اليه يقول في ختام هذه الانشودة :

يرشف النحل رضابا ، فيخور سماً وصابا ، وتنشىء الكآبة المقنعة في صميم هيكل السرور ، مزاراها المنظور .

وفي قصيدة (اندميون) من بواكير قصائده التي اثخنها النقاد بالجراح مقطوعات ساحرة تأخذ بمجامع القلوب فهو يخاطب الحزن قائلاً :

يا حزن ، لم تستعير ، من الشفاه القرمزية ، لون صحتها ، فتمنح الكاعب حمرة الخجل ، والوردة البيضاء عوسجها ، ام ان يدك الندية اطراف الاقاحي؟

يا حزن ، لم تستعير ، من عيون البزاة هيامها المتألق المحتدم ، فتمنحه نوراً للعُرضُر المتوهج ، او تصبغ به في ليلة قمراء ، ممالح نقية ، في شواطىء (سيرين الطروبة) .

يا حزن ، لم تستعير اناشيد شجية ، من لسان فجيع ، لتهبها ، في امسية شاحبة ، الى البلبل الغريد ، فتسمعها ممزوجة بالندى الرطيب . الخ ..

الى آخر هذه المقطوعة الماتعة التي احسب ان التعريب يجردها من موسيقاها اللفظية العذبة وجرسها البديع ، وقس على ذلك سائر اناشيده الجميلة « كالاناء الاغريقي » و « سيكه » و « الكسل » و « الخريف » و « المرأة الجميلة القاسية » وقصائده الاصيلة الفاتنة « كهيبريون » و « اندميون » وجميعها روائع يضيق الوقت في تحليلها ويشرد اللب والبصر في تأمل محاسنها .

ولرب سائل يقول : هل جاوز التخيل في شاعرنا حدود الجمال الظاهر الى الجمال الفكري الباطني ؟ وهل نفذ بصره الى مشاهدة الجمال في البشرية ، وفي الانسان كانسان يعيش في نطاق عالمه الاصغر ؟ وهل عني بمعضلة الكون الخلقية ، ام ظل سادراً في حساسيته الظاهرة لا يبرحها ولا يريم قيد انملة عن شواردها؟ ولو ذكرنا قصر حياته وادركنا ضآلة الوقت المتوفر لديه للتفلسف والتأمل في معضلات الانسانية واوضاعها ، وانعمنا النظر في تطور شاعريته لمسنا بواكير الانتقال المتدرج القوى من افق الحسية الصافي الى المدى الانساني الرحيب، ولم يتوقف تيار هذا التطور الا بذبول غصنه الرطيب ، وعندي ان الشاعر لا يبلغ سمت العظمة الرفيع الا اذا نضج ذهنه وصقلت انسانيته فيضم الى احاسيسه الظاهرة ، وانسجة تصوره البارعة اهتماماً بالقلب الانساني الكسير والعمل البشري المبدع فيغدو شاعر البطولة والحياة ، والجمال والجلال .

اصيب كيتس بداء السل العضال واخترمته يد المنون ولما يزل املوداً طرياً في الخامسة والعشرين من عمره تختلج الحياة فيه كما يختلج العصير في اكمام الزهرة المطوية وقد دفن في بقعة جميلة فاتنة في روما وصفها الشاعر الرقيق « شلي » في مرثيته « ادونيس » التي بكى فيها صديقه كيتس بكاء مراً قائلاً :

حدور سندسي المشارف ، ينتشر فوق اجداثه ضياء منبعث من الزهور الضاحكة الملتفة بالاعشاب كما ترتسم الابتسامة في اسارير الطفل الغرير .

اكتب هذه الفقرة الختامية والارغن الحنون ينقل الى اذني على جناح الاثير ألحاناً بالغة العذوبة والشجن للموسيقي النابغ « بلليني » وكأنما يذكرني بعبقرية اخرى دفنت قبل ان تتفتح براعمها . والموسيقى الساحرة تولد في نفس سامعها الذاهل شعوراً مبهماً بالنصر او اختلاجاً رفيقاً بالحنو واخالني اشاهد روحا ملهمة راحلة تخطر امام ناظري لتشهد بعظمة روح مماثلة آفلة وليكون مثولها دليلاً باهراً على انضمام الخواطر المحزنة والذكريات الحلوة في وحدة جمالية متسقة صحيحة ، وما ارق قول كيتس :

الجمال هو الحقيقة ، والحقيقة هي الجمال ، هذا كل ما يعرف على الارض ، وما يمكن معرفته .

نقش على قبر هذا الشاعر حسب وصيته — عبارة شعرية جميلة : « هنا يرقد من كتب اسمه على صفحات الماء ».ولعمري ان اسم هذا الطائر الشادي الذي غمر العالم بألحانه وألوانه قد نقش على صخر الزمن الابدي الاصم .

دمشق صلاح الدين الحايري

الاطياف السجينة

★

مع الليـــل قمت ألملم أطيـــاف حلم هنيء تفيّـــأ هـدبي
خشيت اذا الصبح مر عليهـا تفرّ مع الصبح في كل درب

★

وجمّعتهـــا بأكف الحنان وضمختهـــا برشاش العبير
وحمّمتهـــا في ينابيع قلبي ودفّأتهـــا بلهيب شعوري

★

وزِنتُ غدائرها الناعمـــات بورد نما في جبـــال بلادي
وطوّقتهـــا باقاحي الروابي وزنّرتهـــا بزهور الوهـــاد

★

ودرت عليها ، وقلبي يغنّي ، بكأسي ودنّ خموري العتيقه
خموري .. عصير كرومي وكانت مخبّأة في كهوفي السحيقه !

★

واودعتهـــا قفصاً دافئـــا كقلبي ، صاغته ايدي الجمال
تعـــانق في جوّه العاطفيّ وضوح السّنى وغموض الظلال

★

مشت ريشة الفن في افقـــه ودارت بلمستهـــا الخاطفـــه
تلوّن انحاءه كل لون يعـــبّر بالسرّ عن عاطفـــه

★

بقضبانه يَستسرّ ويكمن روح خفيّ كروح الوتر
اذا النسمات مررن عليهـــا حملن صـــدى نغم مبتكر

★

هنـــاك بدنيا يموج بها الفن والسحر ، دنيا الجمـــال السعيده
هناك سجنت طيوفي الغوالي ونمت وتحت وسادي قصيده !

نابلس فدوى طوقان

الانسان والمدنية الحديثة

بقلم الدكتور كامل يعقوب

كان القدماء قد كتبوا على معبد « دلق » هذه الحكمة : « اعرف نفسك بنفسك » فاتخذها سقراط شعاراً له ، وقاعدة لحياته ، ثم مضى الزمن ، وتعاقبت الاحقاب دون أن يتوصل الانسان الى معرفة نفسه ، ذلك لأنه انصرف من بادىء الامر الى التماس العلم في الخارج ، فتمكن من علوم الكيمياء والفلك والرياضة وطبقات الارض قبل أن يعرف وظائف الأعضاء التي يتكون منها جسمه ، ودرس الكهرباء واللاسلكي ، وجاب البحار ، وحلق في طبقات الجو العليا ، دون ان يدرس الطبقات التي يتكون منها دماغه .

ولو كان الانسان قد بدأ حياته بالتعرف على حقيقة نفسه لاتخذت هذه المدنية الحديثة طابعاً آخر ووجهة مختلفة ، ولكنه — وهو الجاهل بنفسه — قد اقام من حوله هذه المدنية العاتية التي إن امتازت بشيء فأبرز ما فيها تلك المباني الشاهقة والآلات الضخمة والحركة المستمرة والسرعة الجنونية ، ثم تبين له آخر الأمر ان هذه المدنية التي انشأها بيديه قد استعبدته ، وسخرته لأغراضها ، ثم ارهقت عقله ، وبهظت نفسه ، وألهبت ظهره بالسياط ، وخيل اليه — وهو يلف ويدور ويلهث في وسط هذا العالم الآلي — انه قد اوشك — هو نفسه — ان يتحول الى آلة ، فهو يكد ويكدح في سبيل العيش من بكرة الصباح الى غاية النهار ، ويكرر نفس الاعمال الرتيبة ، او الحركات اليدوية الآلية مئات المرات .

وهكذا يجد الانسان نفسه في صراع دائم مع هذه المدنية ، منذ نزوله في معترك الحياة ، وهو الى جانب هذا يعاني صراعا آخر مع المجتمع منذ نشأته ومطلع طفولته ، فهو يشعر بمجرد قدرته على التفكير والتدبر بأن له رغبات ونزعات قد ركبت في جسمه ، وان هذه الرغبات والنزعات اللاصقة بطباعه والموصولة بفطرته تتعارض مع قواعد المجتمع والبيئة ، فيلجأ — كلما تقدمت به السن — الى كبح جماحها وكبتها في اطواء نفسه ، ومن الناس من يستطيع ذلك في غير مشقة او عسر ، ولكن منهم من يعاني في سبيل هذا الكبت ارهاقاً شديداً وصراعا متصلا ، فينتابه القلق والضيق ، وتجول في ذهنه الهواجس التي قد تفقده الاتصال بعالم الواقع .

وقد تنبه الانسان اخيراً الى دراسة نفسه من جديد، وانقطع لهذا الدرس عدد كبير من العلماء المختصين : هذا يبحث في الدماغ، وذاك في القلب ، والآخر في الغدد الصماء .. وهكذا. ولكن هذه الدراسات — على كثرتها — كانت مجزأة ، والانسان اذا تجزأ فقد شخصيته ، وانعدم وجوده ، ولذلك فان احداً من هؤلاء العلماء لم يستطع ان يكشف لنا الغطاء عن حقيقة هذا الجوهر الذي لا يعيش الانسان الا به ، وهو الروح ، كما ان احداً منهم لم يستطع ان يحدثنا عن كنه تلك القوة الموجودة في اعماق الدماغ وهي العقل .

وانصرف الأطباء كذلك الى العناية بصحة الانسان، وقطعوا في هذا السبيل شوطاً بعيداً ، ولكن الصحة التي استطاعوا أن يمنحوه إياها صحة صناعية تتطلب ان يتقيد بأنظمة غذائية خاصة، وأن يتجرع أدوية وعقاقير مختلفة وان يحتمل آلام حقن متنوعة بين وقائية وعلاجية وغير ذلك ، والصحة الحقيقية التي يتوق اليها الانسان، والتي ينشدها من الأطباء هي الصحة التي تكسبه مناعة طبيعية وتجعله بمنجاة من المرض والتعب ، في مأمن من الخوف والقلق .

وليس من ينكر ان الأطباء قد توصلوا أخيراً الى وقاية الناس من عدوى بعض الأمراض ، واطالة متوسط العمر ، ولكن الخطر كل الخطر فيما نشاهده في هذه الايام من الزيادة المطردة في نسبة الأمراض العقلية، فقد ضاقت المستشفيات أخيراً بعدد المرضى المصابين بالجنون، وكثر عدد الذين نصادفهم في المجتمعات من الأشخاص الذين التاثت عقولهم أو اضطربت اعصابهم الى الحد الذي يعفيهم من تحمل مسئولية أعمالهم، وأرجو ألا يحسبني القارىء فعالياً أو متزيداً حين أقول ذلك ، فأمامه الاحصاءات الرسمية تنبئه بمدى الخطر الذي يتعرض له الانسان من هذه الناحية، ومما تطالعنا به هذه الاحصاءات انه يوجد بمدينة « نيويورك » أربعة مجانين بين كل مائة من السكان ، وأن نصف المرضى في مستشفيات الولايات المتحدة ليسوا مصابين بأمراض عضوية، وانما باضطرابات عصبية ترجع الى عوامل الخوف والقلق والارهاق ، وأن سكان هذه الولايات يتعاطون كل مساء ستة ملايين ونصف مليون قرص من الأدوية المنومة لكي يستطيعوا الهجوع في مضاجعهم بعد ما لاقوه من العناء وتوتر الأعصاب في سحابة يومهم .

وأنت بالطبع خبير بأن الامراض العقلية اسوأ أثراً في شخصية الانسان ، وأشد خطراً على المجموع من غيرها من الأمراض ،

ويزداد تقديرك لهذا الخطر اذا أنت علمت ان الأطباء لن يستطيعوا مقاومة الأمراض العقلية كما استطاعوا مكافحة الأمراض الوبائية، ذلك لأن للامراض الوبائية جراثيمها التي نستطيع التحصن منها والقضاء عليها ، أما الأمراض العقلية فليست لها جراثيم ، وانما تصيب الانسان في الأعم الأغلب بسبب ما يكابده في حياته من الثورات النفسية التي تؤثر في عقله تأثيراً يجعله ينقسم على نفسه ، والعقل اذا انقسم على نفسه فسد تفكيره كالدولة اذا انقسمت على ذاتها ذهب ريحها واختل نظامها ، وما جعل الله للانسان من عقلين في رأسه .

وكما ان المدنية الحديثة قد جنت على عقول الناس واعصابهم، كذلك جنت على اخلاقهم ، فاضطربت قيم الاخلاق اضطراباً جعل بعض الناس يعد الكذب سياسة ، والنفاق لباقة ، والوصولية مهارة ، واصبح المال – والمال وحده – معبود الناس جميعاً ، لا يؤمنون إلا به ، ولا يصدرون إلا عنه ، فمن كان عنده مال امكنه ان يفعل به ما يشاء ، له ان يعتصر دماء مواطنيه في الحقل او في المعمل في سبيل تكديس ماله ، وله ان يطردهم من عنده ان اقعدهم المرض ، او تقدمت بهم السن ، وإذا صدر منه الوعد في يوم من الايام بالمشاركة بفضلة من ماله في عمل من اعمال البر طمع في ان يكون جزاؤه على ذلك رتبة او وساماً ، والا جاز له ان يخلف الوعد وان ينقض العهد دون ان يستحي من نفسه ، والرجل الذي يملك مالاً يمكنه ان يتنكر لوالديه اللذين ربياه حدثاً ، وان يطرد زوجته التي كافحت معه ، وان يهمل تعليم ابنائه ويجني عليهم ، وهو برغم ذلك يزداد اعتباراً في اعين الناس كلما ازداد ماله .

اما رجال العلم ، واهل الرأي واعلام الادب الذين هم نور العالم وملح الارض فيعيشون في ضيق واملاق ، واذا استطاع الواحد منهم ان يدخر قليلاً من المال ليكون له عوناً في شيخوخته ، ومعاشاً لاهله وولده ، وقع في حبائل الشركات الوهمية التي تقوم تحت ستار اصحاب النفوذ ، فيخرج منها صفر اليدين ، ويظفر صاحب النفوذ بنصيب الأسد .

والطبيب نفسه – وهو رسول الانسانية – اذا اراد ان يحقر الكذب المادي ، وان يكون انساناً ، عاش مغموراً ، وانصرف عنه المرض ، لأنه – رغم حذقه لمهنته – لم يحذق وسائل الاستيلاء على ما في جيوبهم ، والمرأة الفاضلة التي تقف نفسها على خدمة زوجها ، وتربية اولادها هي في نظر الناس قليلة الفطنة ، ضعيفة الشخصية ، لا تصلح الا لعمل الخادم او المربية ، فيهجرها زوجها ، ويرتمي في احضان المرأة العصرية التي تدخن وتشرب الخمر ، وتلعب الميسر ، وتحذق وسائل التجمل ، وطرق النحافة ومنع الحمل .

وهكذا ينحدر الانسان – عقلياً واخلاقياً – بينما تزهو المدنية وتزدهر من حوله وهو – مع ذلك – لا يستطيع اصلاح نفسه ، او تقويم المجتمع الذي يحيط به ، ذلك لأن عملية الاصلاح تحتاج الى الهدم والبناء ، وهي عملية لا يمكنه اجراؤها على نفسه اذ يستحيل عليه ان يجمع في وقت واحد بين المثال وبين التمثال، او ان يكون هو الخزاف وهو نفسه الصلصال .

والمجتمع ليست له المرونة التي تتيح للانسان ان يقوم بهدمه واعادة اصلاحه ، ولم يوجد بعد الرجل الموهوب او النبي المنتظر الذي يستطيع ذلك . فقد حاول « غاندي » في العهد الاخير ان يقوم بمثل هذا العمل في بلاده ، بعد ان استعان عليه بالزهد والعري ، والصوم والعبادة ، وانكار الذات وقمع الشهوات فكانت النتيجة ان ثار عليه المجتمع ، وارداه قتيلاً بيد واحد من ابنائه .

اما بعد .. فلا تكن في مرية من ان المجال في هذا العصر لم يعد مجال المصلحين واصحاب الدعوة والرسالة ، انما هو – قبل كل شيء – مجال المخترعين الذين يتسابقون ليل نهار في استكشاف تلك الموبقات الفواتك من اسلحة الدمار وآلات الحروب ، وهذا يجعلنا نعتقد ان هذه المدنية الحديثة قد اصبحت تحمل في اطوائها عوامل فنائها ، فيكفي ان تقوم في وقت من الاوقات حرب من تلك الحروب الذرية العالمية التي يتحدث عنها الناس ، والتي قد يثيرها زعيم من اصحاب العقول الملتاثة حتى تزول من الوجود معالم هذه المدنية الحديثة ، كما زالت مدنيات اخرى من قبل ، واذا حدث ذلك فان الانسان الذي يخرج سالماً من هذا الهول الاكبر يستطيع ان يتخذ مجلسه فوق انقاض المدنية الزائلة ، وان يخلو لنفسه ، ويفرغ لها ، ويفكر من جديد لا في امر تلك الكرة الارضية المسرفة في العظمة ، ولا في امر الاجرام السماوية المسرفة في البعد ، وانما في امر تلك الكرة الصغيرة التي ترتكز فوق عنقه ، وهي رأسه ومتى فرغ من معرفة نفسه امكنه ان يسير في الارض طليقاً ، وان يقيم المدنية التي تلائمه ، وتتمشى مع طبيعته حتى لا تكون في النهاية حرباً على عقله ، ووبالاً على نفسه .

القاهرة

كامل يعقوب

القصدية فكرة اساسية في فلسفة هوسيرل الظاهراتية

لجان بول سارتر
ترجمة نهاد التكرلي

✻

ادموند هوسيرل فيلسوف الماني (١٨٥٩ – ١٩٣٨) وهو مؤسس الفلسفة الظاهراتية والفينومونولوجيا . وفكرة « القصدية » l'intentionnalité التي يتحدث عنها سارتر في هذا المقال فكرة اساسية تلعب دوراً خطيراً في الفلسفة الحديثة والمعاصرة بصورة خاصة . ولذلك نجد ان جميع الفلاسفة الظاهراتيين والوجوديين يأخذونها ويجعلونها اساساً لفكرتهم الفلسفية. وقد اخذ بها هيدجر في المانيا ومارسيل وسارتر وبونتي في فرنسا . ويجب ان نفهم « القصد » هنا بمعنى الاتجاه والاشارة ، اي ان الشعور لا بد ان « يقصد » موضوعاً معيناً يتجه اليه او يدل عليه. ومن ثم فلا بد ان يكون هنالك طرفان دائماً : شعور يقوم بحركة يقصد بها شيئاً معيناً ، وموضوع تقع عليه هذه الحركة. ومن التقاء هذين الطرفين – اللذين لا يمكن ان يوجد كل منهما على حدة إلا بصورة تجريدية – ينبثق الشعور موجودا في العالم ، او الوجود – في – العالم كما يسميه هيدجر ، وكذلك جميع مظاهر الشعور الاخرى كالادراك الحسي والتصور والرغبة والانفعال ... الخ وهذه هي الفكرة التي حاول سارتر ان يقربها الى الأذهان في هذا المقال باسلوب اخاذ يجمع بين الدقة الفلسفية والصور الأدبية .

« كان يأكلها بعينيه » . مثل هذه الجملة وعلامات اخرى غيرها تشير بدرجة كافية الى الوهم الشائع لدى الواقعية والمثالية. وبموجب هذا الوهم تُعتبر المعرفة نوعاً من الأكل والالتهام . والفلسفة الفرنسية بعد ان مرّ عليها مئة عام من النزعة الاكاديمية لا تزال عند هذه الفكرة. لقد قرأنا كلنا «برنشفيك» و «لالاند» و« ميرسون » واعتقد كل منا ان هذا (الفكر – العنكبوت) يجذب الأشياء الى نسيجه وبعد ان يغشيها بطبقة من لعابه الابيض يلتهمها ببطء ويحيلها الى جوهره الخاص .

ما هي منضدة معينة او صخرة او بيت ؟ انها ليست سوى مجموعة من (مضامين الشعور) .ليست سوى نظام لهذه المضامين. يا للفلسفة الغذائية ! ومع ذلك فلم يكن يبدو ان هنالك شيئاً اكثر بداهة : أليست المنضدة هي المضمون الحالي لادراكي ؟ وهل ادراكي سوى الحالة الحاضرة لشعوري؟ تغذية وتمثيل ، لا شيء اكثر من ذلك . لقد كان (لالاند) يقول بان هنالك عملية تمثيل للأشياء الى افكار، وللافكار فيما بينها والاذهان فيما بينها. وكان البناء الأساسي المتين للعالم تفرضه هذه الحمائر : التمثيل والتوحيد والتحويل الى الذات .

كان من العبث ان يبحث اكثرنا بساطة وصرامة عن شيء متين . شيء غير الفكر : إذ لم يكونوا يصادفون في كل مكان سوى ضباب مائع متميز الى آخر درجة : وهم انفسهم .

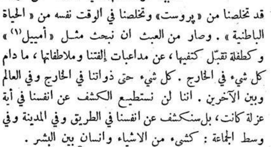
وقد جاء « هوسيرل » فاكد ضد الفلسفة الهضمية للمذهب النقدي التجريبي وضد النزعة الكانتية الجديدة وضد كل « نزعة سيكولوجية » انه ليس في الامكان إذابة الاشياء في الشعور « la conscience » . انك ترى هذه الشجرة ، حسناً . ولكنك تراها في نفس المحل الذي هي كائنة فيه: على جانب الطريق وفي وسط الغبار، وحيدةً ملتوية تحت الحر، على بعد عشرين فرسخاً من شاطىء البحر المتوسط. وهي لا يمكن ان تدخل في شعورك لأنها ليست من نفس طبيعة هذا الشعور . قد تعتقدون بانكم تتعرفون هنا على « برجسون » وعلى الفصل الاول من كتابه « المادة والذاكرة » . غير ان هوسيرل ليس واقعياً : فهو لا يجعل من هذه الشجرة الكائنة في طرف الارض المشققة (مطلقاً) يكون على اتصال بعد ذلك معنا. بل الشعور والعالم يُقدَّمان دفعة واحدة : ويكون العالم الذي هو في جوهره خارجي عن الشعور ، نسبياً في جوهره بالنسبة له . ذلك ان هوسيرل يرى في الشعور واقعة لا يمكن ان تُردّ الى اصل ولا يمكن تصويرها بأية صورة فيزيائية . إلا اذا استعملنا –الضرورة – تلك الصورة السريعة الغامضة، صورة الانبثاق «éclatement». فمعرفة الانسان لشيء من الاشياء هو ان « ينبثق نحو » ذلك الشيء . ان ينتزع نفسه من باطنيته الجوفية المبللة لينسل" هناك ، وراء ذاته ، ونحو ما هو ليس بذاته . هنالك قريباً من الشجرة وخارجاً عنها مع ذلك ، لانها تفلت مني وتردني وانا لا استطيع ان اضيع فيها اكثر مما لا تستطيع هي ان تذوب فيّ: خارجاً عنها وخارجاً عني . ألا تتعرفون في هذا الوصف على احتياجاتكم النفسية ومشاعركم الباطنية ؟ لقد كنتم تعرفون جيداً ان الشجرة ليست انتم وانكم لا تستطيعون ادخالها في معدكم المظلمة وان المعرفة لا يمكن ان تقارن بالتملك الا بشيء من عدم الصدق وعدم الامانة . وها ان الشعور قد تطهّر في نفس الوقت واصبح صافياً رقراقاً لم يعد فيه شيء سوى حركة ، ما تكاد تبدأ حتى

تفر. سوى أنسياب خارج الذات . ولو حدث بصورة مستحيلة ان دخلتَ (في) شعور ما لتلقفتك زوبعة وقذفت بك الى الخارج، قرب الشجرة وفي وسط الغبار. لأن الشعور لا(داخل) له وهو ليس سوى هذا الخارج لنفسه، وان هذا الهروب المطلق وهذا الرفض لأن يكون جوهراً ، هو الذي يؤسسه كشعور. لو تصورتم الآن سياقاً من الانبثاقات التي تنتزعنا خارج ذواتنا ولا تترك حتى المجال لشيء يدعى « بذواتنا » أن يتكون خلف هذه الانبثاقات بل على العكس تقذف بنا وراءها ، في الغبار الجاف للعالم على الارض القاسية بين الاشياء . ولو تصورتم اننا قد قُذف بنا هكذا ونحن متروكون بواسطة طبيعتنا نفسها في عالم عدائي عنود غير مكترث ، لاستحوذتم على المعنى العميق للاكتشاف الذي عبر عنه هوسيرل في هذه الجملة الشهيرة وهي « ان كل شعور هو شعور بشيء من الاشياء » .

ولم يكن يقتضي اكثر من هذا لكي يوضع حد لفلسفة المحاثية والبطون « immanence » . تلك الفلسفة الناعمة التي يحصل كل شيء فيها بواسطة الاتفاق والتبادلات البروتوبلازمية وبواسطة الكيمياء الخلوية الدافئة . اما فلسفة العلو « la transcendance » فانها ترمينا على الطريق الواسع ، وسط التهديدات وتحت ضوء ساطع يأخذ سناه الابصار . يقول هيدجر ان الوجود هو (وجود ــ في ــ العالم) ويجب ان نفهم هذا « الوجود في » بمعنى الانبثاق فالوجود هو الانبثاق في العالم . هو البدء من عدم للعالم والشعور لكي يحصل فجأة (انبثاق ــ شعور ــ في العالم) . واذا حاول الشعور ان يتملك نفسه او ان يتطابق مع نفسه اخيراً في شدة حرارته ، وبعد ان يغلق درفات شبابيكه ، فانه يضمحل ويتلاشى . وضرورة الشعور هذه لكي يوجد كشعور بشيء آخر غير ذاته هو ما يسميه هوسيرل « بالقصدية » l'intentionnalité .

لقد بدأنا بالحديث عن المعرفة لكي نقرّب الفكرة الى الاذهان ولأن الفلسفة الفرنسية قلما عرفت شيئاً آخر غير مشكلة المعرفة. اما هوسيرل واصحاب الفلسفة الظاهراتية فعندهم ان الشعور الذي نأخذه عن الاشياء لا يتحدد بمعرفتها فقط . ان المعرفة او الامتثال « représentation » المحض ليس سوى شكل من الاشكال الممكنة لشعوري بهذه الشجرة . اذ اني لا أستطيع ايضاً ان احبها واخافها او اكرهها. وهذا التجاوز للشعور من قِبَل نفسه الذي يدعى «بالقصدية» موجود في الخوف والكراهية والحب . فكراهية الغير ليست سوى كيفية من كيفية الانبثاق نحوه. ان معناها ان تجد نفسك فجأة ازاء غريب تحيا به وتعاني اولاً صفته الموضوعية باعتباره « قابلاً للكراهية » .

وهكذا فاننا نجد فجأة ان ردود الفعل « الذاتية » الشهيرة هذه : الكراهية والحب والخوف والتعاطف . هذه التي كانت تطوف في ماء التمليح الآسن الذي يحفظ فيه الفكر محتوياته ، تتخلص منه وانها ليست سوى كيفيات للكشف عن العالم. ان الاشياء هي التي يسقط النقاب عنها فجأة ، فتتكشف ازاءنا باعتبارها مكروهة او تعاطفية او مخيفة او محبوبة. انها«خاصية» من خاصية هذا النقاب الياباني ان يكون مخيفاً،خاصية لا تنضب ولا ترم الى اصل وهي تؤسس طبيعته نفسها ــ وليست مجموع ردود فعلنا الذاتية ازاء قطعة من الخشب المنحوت . وهكذا فان هوسيرل قد أعاد وضع الرعب والسحر في الاشياء، وقد أحيا لنا عالم الفنانين والأنبياء: مخيفاً عدائياً خطراً تتخلله مرافيء من الجمال والحب . وقد افسح المجال الكامل لاقامة نظرية جديدة في الاهواء يمكن ان تستوحي هذه الحقيقة البسيطة الى آخر درجة والتي طالما تعمق جهدها مفكرونا: وهي اننا اذا أحببنا امرأة فلأنها لطيفة . وها نحن اولاء قد تخلصنا من « پروست» وتخلصنا في الوقت نفسه من « الحياة الباطنية » . وصار من العبث ان نبحث مثل « أميبل[1] » وكطفلة تقبّل كتفيها، عن مداعبات إلفتنا وملاطفاتها ، ما دام كل شيء في الخارج . كل شيء حتى ذواتنا في الخارج وفي العالم وبين الآخرين . اننا لن نستطيع الكشف عن انفسنا في أية عزلة كانت، بل سنكشف عن انفسنا في الطريق وفي المدينة وفي وسط الجماعة : كشيء من الاشياء وانسان بين البشر .


جان بول سارتر

بغداد — **نهاد التكرلي**

(١) كاتب سويسري (١٨٢١-١٨٨١) مؤلف كتاب « قطع من يومياتي الباطنية » وتوفي في جنيف .

نيسان

نزار قباني

*

سلّة عتاب ...

جاء يزورنا نوّار ، فوضع على خدّكِ سلّة ورد ، بعضها فتّح ، وبعضها أزرار .

☆

وأتى لعندنا تمّوز ، تموز الكريم ، فترك على صدركِ سلّة تفاح . وسلّة وسلّتين .

☆

ومرّ على بيتنا آب ، فتركَ على ثغركِ سلّةَ عنّاب . وظل قلبه على العتبة ... وعلى الباب ظلٌّ قلبه .

☆

وزارنا أيلول ، وودّع على صدركِ سلّتي عناقيد ، مثل حبوب الياقوت والزمرّد .

☆

لقد جاءت الشهور تحمل إليكِ السلال . ثمّ راحت وظلّت عندنا السلال .

انتحار قنديل

نَضَبَ الزيت في صدره ، واصفرّت شفته العذراء .

سأغمركَ بشَعْري ، وبمشلح عروس .

☆

وبعشر ليالٍ من عمره اشترى خنجراً : حربةٌ من فضة ، ذاتَ حدٍّ أسود .

☆

لقد نسي نيسان ، فأصبحتْ بعض حروفٍ من دم في قلبه . من دم أخضر .

☆

ولم يُصَلِّ في حياته ، لأن النار في جسده . أمّا خطيئته الكبيرة ، فكانت أنه يحب .

☆

وأنّ الجمال هو النور المعصور في فمه : ولقد سكبَهُ على السرير ، والخزانة العتيقة .

☆

لقد انتظر أربعة مواعيد ، وعندما تَعِبَ من الإنتظار أعطى شفته لليل ، وغرز الخنجر في صدره .

نيسان ...

يا غابات ، يا ليل ، يا قمر ، من روحكم نيسان .

☆

ومن وردٍ وزنبقٍ وياسمين حجارُ كوخنا ، ومن جنحان الفراش . وبليلةِ سُكْرٍ طاقتنا مزّقت ضلوعها .

☆

ونبقى هكذا سكارى ، على الوردِ مشلوحين . وبابنا مغلوق ويضحك . وكلّ ما عندنا كوخنا السكران .

☆

وعُمْرُنا تاريخ ألف نجمة ، على النعشِ محمولين .

☆

والبارحة وُلِدْنا في جرّة الكرّامين ، في قراني الغاب ، وفي منجيرة الراعي ؛ والبارحة كنّا منذ الأزل مولودين . وكل ما عندنا كوخنا السكران ، وطاقةٌ من وردٍ ومن غار ، وقلبي وقلب نيسان .

☆

يا ليالي السهر ، يا مواسم الثلج ، ويا إخوتي الرعيان ، من روحكم نيسان .

الصنوبرة

خلعت صنوبرة رداءها ، وبددت شعرها ، وبقيت تعيش تحت العاصفة والزمهرير والمطر والثلج ، بعد أن أبعدت عنها أولادها من لحمها ودمها ليكبروا عراة في غابة الصخور .

☆

ولقد أعطت نهدها للأرض . وعندما جاء الشتاء ليرضع من صدرها جمعت فمها على شفتيه . فشعرت بأن جسداً ينام مع جسدها ، فلفتّه بذراعيها ، وأطبقت جفونها على نداء الربيع . وبقي رَجُلُها يعصرها ويقبّلها حول عنقها .

☆

وبعد أن انقضى من عمرها ألف عام ، ألقت شعرها على عينيها الملوءتين بمواسم الأوراق . عند ذلك شعرت بالعُري . فارتجف جسدها . أما نهدها فقد كان كإبريق النبيذ المعتّق ، متروكاً تحت الثلج ، ويندلق الدم على بابه .

فلسفة حقوق الانسان

بقلم الدكتور جورج طعمة

قبل ما يقرب من الف وثلاثمائة سنة عقب الفتح الاسلامي تسابق شاب نبيل من ابناء الاكارم مع فرد من عامة الناس فسبق العامي النبيل فما كان من ابن الاكارم الا ان صفع العامي لانه سبقه. وكان هذا النبيل الذي صفع هو ابن عمرو بن العاص. فذهب العامي للمدينة يشتكي للخليفة عمر بن الخطاب ذله واهانته. فاستقدم الخليفة الفاروق عمراً وابنه الى المدينة ليستجلي حقيقة الامر. فاحتج ابن عمرو بن العاص على سبق العامي قائلاً: أيسبقني وانا ابن الاكارم. فالتفت الخليفة عمر الى العامي من مصر وقال له: خذ سوطك واضرب ابن الاكارم. ثم التفت الى ابيه عمرو وقال قوله المشهور: « الا قل لي يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ؟ » واليوم بعد ١٣٠٠ سنة نجد المادة الاولى من الاعلان الدولي لحقوق الانسان تقول: «يولد جميع الناس احراراً متساوين في الكرامة والحقوق، ذوي عقل وضمير، يتعاملون في ما بينهم بروح الاخاء».

ولا ريب ان يستوقفك ايها القارىء كما يستوقفني هذا التشابه القوي بين قول الخليفة عمر وبين المادة الاولى من حقوق الانسان. وهو تشابه لا يقتصر على المعنى فحسب بل يتعداه الى اللفظ، رغم ما بين القولين من مئات السنين واختلاف في الثقافة والبيئة والحضارة. واذا كان لهذا التشابه مدلول اول فهو بساطة حقوق الانسان وبداهتها. يصفع رجل نبيل رجلاً من عامة الناس. فتثور نفس الرجل العامي لشعور عفوي عنده أنه يساوي في الكرامة والمنزلة النبيل ابن الاكارم. فيهب للمحافظة على كرامته. وهو امر لم يصل اليه هذا الرجل العامي عن طريق دراسة حقوقية او فلسفية او معرفة بالاعلان الدولي لحقوق الانسان بل ان الحياة فيه اوصلته ببداهة الى تقرير هذه الحقيقة والمحافظة عليها.

وعمر بن الخطاب حين ينصف هذا الرجل ويرسل قوله المشهور — متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً — انما يندفع الى ذلك بحس عفوي وشعور اصيل لا تصنع فيه بحق الانسان نحو نفسه وحقه على غيره. ولا اعرف، والتاريخ لا يروي، ان عمر بن الخطاب درس القانون في جامعة غربية، او اشترك في لجنة دولية لحقوق الانسان ولكنه كان رجلاً بسيطاً في غاية البساطة، مؤمناً اعمق الايمان، وبساطته وايمانه، في المظهر والجوهر، خلقا منه حاكماً من اعظم حكام التاريخ. روي ان عمر شوهد وهو يعدو وراء بعير شارد من ابل بيت المال، فادركه نفر من اصحابه وقالوا له: الا تتعقبه نحن وتستريح انت يا امير المؤمنين. اجاب وهو يهدر: ولماذا اذن اكون للناس والياً واميراً ... والله لو ضاع عقال بعير بالعراق لخشيت ان يسألني الله عنه ويقول لي: أنستودعك حقوق الناس، وتنام عنها يا عمر.

ومن هنا حقيقة اولى تتصل بفلسفة حقوق الانسان وهي ان هذه الحقوق لا فلسفة لها في الواقع، وان وصلت فهي ليست فلسفة معقدة لان موضوعها بديهي اولي لا يحتاج منطقاً لاقامة الدليل عليه. واطلاق « الفلسفة » — هذه اللفظة المرعبة بالنسبة للسواد الاعظم — حول حقوق الانسان يخفف من بداهتها وبساطتها.

على اننا لو طرحنا سؤالا آخر وقلنا كيف استبق عمر شرعة حقوق الانسان وكيف نستطيع ان نعلل هذا التجاوب الانساني العميق بين اختبارين بشريين متباعدين ؟ والجواب كامن في الانسان ذاته، هذا الانسان الساعي الى فهم نفسه وحقيقته منذ ان تفتح فكره على الكون والوجود. وهو يقودنا حتما الى وحدة اساسية في الانسان اينما كان، وينتهي بنا الى طبيعته التي تنبثق حقوقه كلها عنها. وبكلمة اخرى ننتهي في تحليلنا الى ما يسمى بالحق الطبيعي للانسان. فهو من حيث الواقع المنبع الاول الذي تنشأ عنه حقوق الانسان بكاملها. وهو من حيث البحث الفكري والدراسة النظرية الدعامة الفلسفية الاولى التي تستند اليها حقوق الانسان.

واذن فالحق الطبيعي قديم كقدم الانسان. والاعلان الدولي لحقوقه انما هو جديد في شكله فقط، قديم في جوهره قدم الانسان المتمتع بهذه الحقوق. وهذا الاعلان ظاهرة عرضية في التاريخ الانساني، واما التاريخ الانساني فهو باعمق ما فيه اتجاه متكامل متراكم صوب الحرية والتحرر وتوكيدهما.

ومن هنا ضرورة تحديد منشأ هذه الحقوق وطبيعتها. من اين تتحدر الي ؟ هل انعمت بها علينا قوة خارجية عن الانسان كالامم المتحدة او كالدولة حتى اذا وهبتني اياها اليوم تستطيع ان تستردها غداً ؟ ام انها تتصل بجوهري وكياني حتى اذا امتهنت توقفت عن ان اكون انساناً على الاطلاق ؟ واذا كانت هذه الحقوق تتصل بجوهري اليست متمركزة اذن في قيم ثابتة خالدة تتعالى فوق الانسان ذاته وفوق المؤسسات التي يبدعها ويوجدها كالدولة وكالامم المتحدة ؟

وعلى ذلك لو عدنا في التاريخ قروناً الى الوراء ابعد من عمر بن الخطاب لوجدنا كثيرين من رجال التاريخ شعروا بالحق

الذي لا يجوز للانسان ان يتنازل عنه وعبروا عن شعورهم وفكرهم في اقوال قوية خالدة .

لقد اعتاد مؤرخو الفكر السياسي حين التحدث عن نظرية الحق الطبيعي ان يقفوا طويلاً عند غروسيوس — Grotius — باعتباره اول من اعطى شكلاً حقوقياً لهذه النظرية فوضع بذلك قواعد القانون الدولي . ولكن الحقيقة ان هذه النظرية تحدرت الينا من التراث المسيحي وقبله من التراث اليوناني. فمن المبادىء الاولى في المسيحية ما الزمت به اتباعها من ضرورة معاملة الانسان لغيره كما يرغب ان يعامله الآخرون. ثم نجد عند بولس الرسول وآباء الكنيسة بعده اشكالاً مختلفة لهذه النظرية التي اساسها ان يكون الانسان هو محور القانون . اما في التراث اليوناني فنجد شيشرون والرواقيين في العصور القديمة وخاصة سوفوكليس يشددون على فكرة الحق الطبيعي. يقول سوفوكليس على لسان Antigone وهي بطلة في احدى مسرحياته كانت تدرك انها باطاعتها للقانون البشري انما كانت تطيع قوانين ازلية غير مكتوبة « لا اعرف ان دفاعك مهما كان قوياً يسمح لرجل كائناً من كان ان يتناسى تلك القوانين الخالدة الأزلية غير المكتوبة والتي يعود منشؤها إلى الآلهة. هذه القوانين لا تتولد عن رغبات طارئة او لذات عارضة ... ليس لها اي تاريخ وليست تعود لليوم او للأمس ولا يعرف اي مخلوق بشري اليوم الذي ظهرت فيه »

ما هو هذا الحق الطبيعي غير المكتوب الذي نوهت عنه اكثر من مرة في حديثي ؟ نقول بايجاز كلي انه لما كانت هنالك طبيعة بشرية واحدة بالنسبة لجميع الناس ، وكانت هذه الطبيعة مركزاً لحاجات وضرورات ، فان للانسان بالتالي اهدافاً تقابل حاجاته وهي ايضاً واحدة بالنسبة لجميع الناس. ويستطيع العقل الانساني ان يكتشف نظاماً يوجب على الارادة البشرية ان تعمل بما يتفق والأهداف الاساسية الضرورية . وليس الحق الطبيعي او القانون غير المكتوب شيئاً يختلف عن هذا. ان كل ما يوجد في الطبيعة من نبات وانسان وحيوان له مكنونه الطبيعي اي بداهة فعله وطريقة خاصة به توصله الى تحقيق ذاته على افضل شكل ممكن [١] .

يتضح مما تقدم ان الاعلان الدولي لحقوق الانسان من قبل الامم المتحدة ، او اي اعلان تاريخي لمثل هذه الحقوق كالماغنا كارتا البريطانية ، او براءة الحقوق الاميركية او اعلان حقوق الانسان والمواطن الثوري الفرنسي ، او المانيفستو الشيوعية او اي نص في اي دستور من دساتير العالم يحدد حقوق الانسان — ان جميع هذه الوثائق لا تهب الانسان نعمة لا يمتلكها، او تتكرم عليه بعطاء سخي او تهبه حقوقاً غير موجودة فيه بل ان كل ما تقوم به هو مجرد اعتراف بهذه الحقوق الأصيلة واقرار لها وارتباط بتنفيذها وعلى اساسها كلها الحرية . يقول جفرسون وهو أب الدمقراطية الأميركية : « ان الله الذي وهبنا الحياة وهبنا معها الحرية في نفس اللحظة ولنفس السبب » .

لم اتجاوز في حديثي هذا المادة الاولى من حقوق الانسان التي تنص : « يولد جميع الناس احراراً متساوين في الكرامة والحقوق، ذوي عقل وضمير، يتعاملون في ما بينهم بروح الاخاء» والواقع انني لا اريد ان اتجاوز هذه المادة الاولى بما فيها من تشديد اساسي على مفهوم الحرية . ذلك ان مواد الاعلان الدولي لحقوق الانسان —وعددها ثلاثون— تعود كلها الى تأمين الحريات الأربع للانسان وهي حرية التعبير وحرية العبادة والحرية من الفقر والحرية من الخوف وهي كلها تشتق من الحرية الأساسية للانسان

ويجدر بنا ان ننتبه للناحية العملية لهذا الاعلان العالمي: ان مختلف المذاهب التي تتصارع في العالم اليوم وفي طليعتها الدمقراطية والشيوعية قد اتفقت كلها على هذا الاعلان الشامل لحقوق الانسان ولكنك لو عدت لاتباع احد المذهبين وسألته لماذا يقر هذه المادة او تلك لوصلت الى اختلاف مذهبي شديد . فهم يتفقون خلال هذا الاعلان على اهداف عملية بصرف النظر عن الفوارق المذهبية في دعمها وتأييدها. غير ان المشاكل المذهبية العقائدية قد اثيرت على اعمق مستوى ممكن خلال سنتين متواصلتين من عمل لجنة حقوق الانسان فنوقشت مسائل كثيرة في طليعتها **علاقة الفرد بالمجتمع** : هل الانسان عبد خاضع للمجتمع بحيث لا يحق له ان ينتقد ويحاكم ويثور ويقول لا. **علاقة الفرد بالدولة** : هل الدولة كائن مطلق غير مسؤول حتى اذا قامت الدولة بتحديد حرياته ومسؤولياته كان عبداً طائعاً لها ام ان الدولة ورجالها مسؤولون امام قيم تتعالى على اية نزوات عارضة [٢] .

وثمة حقيقة بارزة يشدد عليها الاعلان في مادته الاولى هي ان جوهر الانسان عقله وضميره ، وانه حر في البحث والسعي والوصول . هذه الحرية وحدها — في جميع اشكالها التي تتفرع عنها كحرية التعبير والعبادة والتحرر من الخوف والعوز— هي التي اذا حوفظ عليها ضمن المجتمع امنت الدولة ولاء صادقا من المواطنين ، ولاء ناتجاً عن رضى وقبول لا عن قسر وارهاب .

دمشق — جورج طعمة

(١) راجع Jacques Maritain : L'Homme et l'Etat

(٢) من مقال بالانكليزية للدكتور شارل مالك عن حقوق الانسان .

الموشحات الاندلسية

بقلم نسيب الاختيار

لم تدم مرحلة التقليد التي مرت علـى الغناء العربي في الاندلس ، غير حقبة قصيرة الامد . فبعد التطور العام الشامل الذي طرأ عـلى مختلف مظاهر الحياة الفكرية والمادية في الفردوس المفقود ، بات من الصعب العسير على اغاني معبد وجميلة وابراهيم الموصلي وعريب ، ان تجد لنفسها صدى عميقاً في احياء عالم ذاك الفردوس ، فالتجدد الذي بسط يـده على الشعر ، كان تجدداً شكلياً في تصوره وتصويره ، فهو مجرد ألوان وظلال ، اضفتها الطبيعة والحضارة ، على مواكب الشعر ، امـا القافية الواحدة ، والاوزان المحدودة ، فقد بقيت محافظة على طابعها القديم ، وظـل الشعراء يلوبون ويدورون في دائرة مفرغة ، القافية الواحدة، بجرسها الرتيب، والاوزان المحدودة، بتخومها الضيقة ، تكبت الخيـال المطلق ، وتكظم التصور الرحب، فالرؤى تحتضر في الاوزان، والفكر تترنح على القوافي ، ومثل هذا الشعر ، الذي جعل منه الغناء مادته، يخنق لمع الفن الغنائي المبدعة ، ويصوح زهوره التي لا سبيـل الى انطلاق ارجها، الا في دنيا، لا حدود لها ولا نهاية . فلما انبثق فجر الموشح في القرن الثالث للهجرة ، في مبدعات (محمد بن حمود القبرى) ، وتابع تطوره التاريخي في مبدعات (عبادة بن ماء السماء وابن بقي وابن زهر وابن سهـل ...) حرر الشعر نفسه من قيود القافية الواحدة ، والاوزان المحدودة ، اذ وجد في الموشح ، عـالم خيالاته وتصوراته ، وتشابيهه واستعاراته . وكان لهذه الخطوة الجديدة التي خطاها الشعر ، في مجالي تطور الشكل والطريقة ، اثرها البعيد في فن الغناء ، فالملحنون الذين عطلت القافية الواحدة ، بجرسها الرتيب ، المدى الايقاعي لتموجات مشاعرهم ، وحبست الاوزان المحدودة ، بآفاقها الضيقة ، حفيف خواطرهم ، رأوا في الموشح الجرس الطبيعي والمـدى الحيوي لفنهم الموسيقي ، فركبوا الالحان والانغام ، على الموشحات ، وتغنوا بها في مجالسهم الخاصة والعامة . فبعـد ان كان المغني ، يلزم قافية واحدة في الكلام المنظوم ، تعددت هـذه القوافي وتنوعت ، وبعد ان كان المغني ، يلزم بحوراً لا تتجاوز الستة عشر بحراً ، أربت هذه الا بحر على مئة ، وصارت اوزان الموشحات ، كما يقول صاحب الذخيرة (عـلى غير اعاريض اشعار العرب) .

ولكن ابتكار فن الموشح لم يحقق الغاية الاصيلة التي ينشدها الملحنون ، فقد كان عـلى الملحن ، ان يتقيد بشكل ومحتوى الموشح ، فهو اذ يعبر في لحنـه عن شيء ، وهو اذ يعمد في لحنه الى تصوير شيء ، انما يصور ويعبر عن مشاعر وافكار الوشاح ، اما افكاره ومشاعره ، فقد كانت تذوب وتتلاشى في الموشح ، كانت مهمته لا تعدو اضفاء الانغام عـلى الالفاظ ، وتحقيق التجاوب بين الصورة اللفظية والصورة الموسيقية ، فهو ينفعل في لحنه ، بانفعال الوشاح ، يأخذ شكله ومظهره وسمته ، وكان من جراء هذا الاندغام ، الذي لا تبرز فيه شخصية الملحن كما تبرز شخصية الوشاح ، ان لجأ الملحنون الى صوغ الالحان ، واختيار الموشحات الملائمة لهـا والمنسجمة معهـا ، وبذلك دخل الموشح ، مرحلة جديدة من مراحـل تطوره ، وهـذه المرحلة ، هي تركيب الالحان على الاشعار ، كما كان يفعل العرب ذلك في مستهل حياتهم الموسيقيـة ، اذ كانوا يركبون الالحان الفارسية والرومية على الاشعار العربية ، فتتبع الوزن الشعري الايقاع الموسيقي ، ولم يعد للموشحات من عروض ، كما يقول ابن سناء الملك (الا التلحـين ، ولا ضرب الا الضرب ، ولا اوتاد الا الملاوى ، وبنى اكثرها عـلى تأليف الارغن) .

وهكذا حقق الملحن وجوده ، كما ضمنت الموسيقى لنفسها الاجواء الجديدة ، فالملحن الذي كانت تضيق الالفاظ بمحتوى احاسيسه ، اطلق هذه الاحاسيس في ألحان ، وركب عليها بعد ذلك المقطوعات الشعرية المتجاوبة مع شكلها ومحتواها ، فظهر الشاعر الملحن في الاندلس ، الفنان الذي يصوغ اللحن وينظم الشعر ، ويلقي بذلك كله على جواريه ، اذا كانت له جوار ، كما كان يفعل ابن باجه ، او يلقيه على قيان غيره ان لم تكن له قيان .

دمشق

نسيب الاختيار

نريد ان نحيا ولم نحيا

✳

الى د

بلند الحيدري

•

بغداد

فلنرفض الدنيا باقدامنا
ما قيمة الدنيا
هذا الغد الغارق في جامنا
يريد ان نحيا
يريد ان نحيا لآلامنا
نحيا .. ولِمْ نحيا
ما قيمة الدنيا .. ؟

★

من أمسي ماذا صنتُ في قلبي
الا رؤى امسي
جماجماً تسخر من حبي
تسخر من نفسي
وفي غد سينتهي دربي
في عالم منسي
ماذا من الأمس .. ؟

★

فلنعدم الدنيا بآلامنا
ولنسحق الفجر بأقدامنا
لا نار لا جنة في جامنا
ها نحن ظلين على الدنيا
ضالين كالدنيا
نريد ان نحيا ... ولِمْ نحيا ..؟

محنة العلم بعد محنة الادب

بقلم وديع فلسطين

اما ان الادب يعاني محنة ، فأمر لم يعد يختلف عليه اثنان ، بعد ما ماتت صحف الادب فلم يأس عليها الا حفنة من الناس ، وبعد ان بارت تجارة الادب فصار الناس يُعرضون عن شراء الكتب الا ما انطوى منها على ملق او استفزاز للغرائز ، او ما كان منها مقرراً في المعاهد . وما عدا ذلك من كتب ومصنفات فمجاله واسع في مخازن الناشرين والمكتبات ، لولا ان السوق في لبنان وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية والكويت واندونيسيا وشمال افريقيا تلتهم من هذه المؤلفات اكثر مما تلتهمه مصر .

ولكن ، اذا كان الادب في محنة ، فهل ينجو من هذه المحنة العلم ؟ واذا كان بعض الناس يحاجّ بأن الادب تَرف ، فهل هناك من يزعم بأن العلم ترف نستطيع ان نستغني عنه ونعيش بدونه في القرن العشرين ؟

مجال البحث العلمي مجال مثلث ، فهو يتجلى في المختبرات والمعامل حيث يعكف العلماء على مباحثهم رجاء ان يستنبطوا شيئاً جديداً ، وهو يتجلى في المجامع العلمية حيث يتناقش العلماء فيولد هذا النقاش آفاقاً كانت محجوبة عنهم . وهو يتجلى على صفحات المجلات العلمية التي تنقل الى المشتغلين بالعلم نتائج البحوث التي يجريها علماء الشرق وعلماء الغرب والمراحل التي قطعوها في كل اتجاه .

اما المختبرات والمعامل فتكاد في الوقت الحالي تقتصر على ما هو مهيأ منها في المعاهد والمدارس حيث يُجري الطلاب تجاربهم بإشراف أساتذتهم ، وليست في مصر — مع الاسف — محطات للتجارب ومعاهد للبحوث العلمية يعكف فيها العلماء على الاستزادة من اسرار العلم ، ويحاولون فيها الاهتداء الى جديد من آفاق العلم .

واما المجامع العلمية ، فقد اقتصر امرها على خاصة الخاصة ، وافراد هذه الفئة بين مشغول بمطالب الحياة ومتقدم في السن يعجزه المرض عن المشاركة في اعمال المجامع ، فمتى عقدت حلقات البحث ، خلت من روادها ، وخلت من المستمعين ولم يبق الا الجدران يخاطبها العلماء لعلها تصيخ لما يقولون .

ومن اسف ان المؤتمرات العلمية التي تعقدها المجامع المختلفة ، كمجمع اللغة العربية والمجمع المصري للثقافة العلمية والمجمع العلمي المصري مؤتمرات ضائعة مفقودة الاثر ، لان الناس في واد ورجال هذه المجامع في واد ، وحلقة الاتصال بين الجانبين مفقودة تماماً .

واما المجلات والمؤلفات العلمية ، فقد احتجبت بدورها وراء أسوار واسوار فاختفت مجلة « المقتطف » التي رادت ميدان العلم خمسة وسبعين عاماً طوالاً ، ثم اختفت مجلة « علم النفس » التي حملت لواء العلوم النفسية ثماني سنين . ولم نعد نسمع عن مؤلفات علمية تصدر إلا ما كان منها لطلاب المعاهد والمدارس .

واما رجال العلم فهذا خبرهم : مات علي مصطفى مشرفه فلم يملأ فراغه احد .

وعكف احمد زكي على كتابة المقالات الصحفية اللطيفة لتسلية القراء ، فلما اراد ان يكتب في العلم اخرج كتابا أسماه « سَلْطَة علمية » هو بدوره كتاب خفيف لطيف .

والدكتور محمد خليل عبد الخالق ، يرحمه الله فقد أضناه كد العمل فقصف عمره فجأة .

والدكتور يعقوب صروف خلّف اثراً باقيا ، ثم ذهب ولم يذكره احد . ومما يؤسف له ان يعقوب صروف هو المفكر الوحيد الذي لم يصدر عنه حتى اليوم كتاب يؤرخ له ويروي سيرته كأنه لا يستحق من هذا شيئاً .

وامين المعلوف ذهب بدوره في ذمة التاريخ . والدكتور احمد شرف ترك معجماً نفيساً ومضى .

والامير مصطفى الشهابي اصدر معجماً زراعياً فريداً . فلما اراد ان يصدر له طبعة ثانية منقحة مزيدة وقفت وسائل الطباعة في طريقه .

وفارس نمر تلقفته الصحافة فشغلته عن العلم . ثم ودع المجالين معاً منذ اعوام .

وفؤاد صروف ، هو في ظني الرجل الوحيد الذي عمل وحده في ميدان العلم ما لم تعمله مجامع او معاهد للبحث ..

حكاية لصديقي

بقلم الآنسة سميرة عزام

امتلأت اذني ونفسي من احاديث مغامراته العاطفية ومراهناته في سباق الخيل، ومشاكل وظيفته، وشكواه من زحام المواصلات حتى كدت ان اشير عليه بان يسكت لننهض من المقهى الذي جلسنا اليه طويلاً حين مرت بنا يفوح منها عطر قوي تشق طريقها بين الموائد لتأخذ لها مكاناً على واحدة.

واستدرت اشغل بمرآها عيني وهي تفتح حقيبتها الكبيرة ثم تخرج مرآة مذهبة الاطار ومشطاً تعدل به شعرها المصبوغ بالاوكسجين ثم تتناول لفافة من علبة مزوقة ترفعها الى شفتيها الغليظتين باصابع مثقلة بالخواتيم..

وضرب صديقي يده على كتفي وقال: «هل شغلت بهذه الدودة.. عن حديثي ؟؟».

قلت: أجل، لا لأن في هذه التعسة جديداً، بل لأنني سئمت ثرثرتك.. ثم بأي حق تسميها دودة؟ أتستطيع اولاً، ان تثبت أفضليتك؟ ألا تراها واحدة من ضحايا امثالنا قبل ان نكون نحن من ضحاياها ؟؟

وخالني صديقي امازحه بهذه النغمة فضحك قائلاً:

(موعظة جديدة.. على جبل ؟؟)

قلت وقد ضايقني استخفافه: «انا لا امزح.. لمَ نُصرّ على سطحيتنا فلا نرى من اولئك الا وجوهاً غارقة باصباغها؟ ألم تفكر مرة انه قد يكون لواحدة منهن قلب ينتظر انساناً يوقظ الانسانية المخدرة فيه؟

وقال وهو يضرب المائدة بيده بعد ان ادرك انني جاد:

— صه، هؤلاء يا صاحبي لا يتعاملن بالعواطف! انني بهن ادرى!

— وهل هذا ذنبهن، هل دخلت بيتا لاحداهن وفيك فضلة من انسانية ؟.. انهن لم يعرفن منك الا حيواناً يمج قبحاً.. او ربّاً ممسوخاً ينحهن الحياة باطراف اصابع قدميه! ان بيوتاً لا تدخلها الا العفونة.. لا تنبت الا الدود.. في تربتها!

واخالني تحمست بلا كبير داع فسكتُّ قليلاً ثم رفعت عيني لصديقي وقلت بعد تردد: اسمع سأحكي لك حكاية..

تذكر يوم كنت طالباً في السنة الخامسة طبية حين اضطرتني الضرورة الى ان اعمل ندلاً في مطعم الجامعة، أحمل الاطباق من وإلى موائد زملائي المرفهين.. لقد أقبلت على العمل بروح رياضية علمني اياها الافلاس وتحققي من استحالة استمرار أبي بالانفاق على دراستي حتى اتخرج طبيباً بعد سنتين طويلتين.

وتذكر بانني تقدمت الى مجلس الجامعة اطلب اعفائي من المصاريف فأعفيت من بعضها ولكن الحياة في بيروت ليست اقساطاً للدراسة فقط. كان هنالك المسكن والمأكل والثياب وغير هذا من متطلبات شاب ليس لديه شيء الا العزم في ان يفرض وجوده على الحياة من جديد، وعرضت نفسي لأعمل أي شيء.. سكرتيراً لأحد الاساتذة، قيّماً في المكتبة، محاسباً «جرسوناً»... ولم تسعفني الفرص المتوفرة الا بالاخيرة فشغلتها ولم استنكف.. كانت ذات مغزى اذ تتيح لي ان اتناول الوجبات الثلاث مجاناً.

قصة

هو الذي اخرج بضعة عشر كتابا علميا لا تزال حتى اليوم مرجعاً من انفس المراجع العلمية. وهو الذي يرود اليوم مجالات العلوم فيحدثنا عن الذرة وانفلاقها قبل ان يعرف احد عن القنبلة الذرية شيئاً. ويحدثنا عن الرادار قبل ان يسمع باسمه احد. ويحدثنا عن الصوت الصامت وعن الاعواض. وفؤاد صروف هو الذي يبتدع اليوم ألفاظ العلوم ومصطلحاتها فتسري على الالسنة في كل مكان. وان الحدث الذي احدثه فؤاد صروف في دنيا العلم — فضلاً عن الادب والصحافة — لا ينكره الا الجاحدون. ولعل منصبه الجديد كنائب لرئيس جامعة بيروت الاميركية لا يحول دون مضيّه في تغذية المكتبة العلمية بذخائر فتوحه.

هذا حال العلم. فهل هو في محنة ؟

القاهرة — وديع فلسطين

وتحمست للعمل دون مبالاة بصفاقة بعض الزملاء الذين كان بيني وبينهم ود مفقود حين كانوا يحضرون الى المطعم ويجلسون الى الموائد واضعين رجلاً على رجل ثم يصفقون طالبين اطباق الخضروات وشرائح اللحم المشوي وينهضون بعدها تاركين لي بقشيشاً ...

وعشت حياة مشغولة بكل دقيقة فيها . اخدم في المطعم واستمع الى المحاضرات وادوّن ملاحظاتي واغلق عليّ باب غرفتي في الامسيات لأغرق بين صفحات الكتب الطبية الضخمة.

وقلما كنت اتطلع لأكثر من هذا .. الى ان كانت ليلة حضرت فيها فلما سينمائياً ثم خرجت من الدار ادفع بمنكبي كتلة بشرية ضخمة ما لبثت ان تفرقت وانسربت في عروق المدينة .

وكرهت ان اعود الى غرفتي والليل ما زال في اوله فرحت اجر نفسي ببطء متطلعاً الى وجهات المحال المضاءة بالنيون... ثم تقدمت واشتريت شطيرة اخذت اقضمها باسناني وانا اتطلع بلا هدف ، الى كل شيء . ومرت بي (واحدة) وهمست : أتريد شيئاً ؟ تعال ! وجذبتني من كمي ونفذت بي من باب قريب ولم أعِ الا وانا معها في غرفة فيها اثاث قديم.. اريكة تصرّ كلما أتقل عليها جالس . وخزانة في الزاوية ، وسرير قربه مصباح راعش النور .. اما الجدران فقد اختفت او كادت وراء صور النجوم السينمائية المقصوصة من الصحف..

وكانت شطيرتي لا تزال في يدي فسألتني : « هل انت جائع ؟ كُلْ وسآكل انا ايضاً وقامت الى الخزانة تفتحها وتخرج منها شيئاً راحت تأكله هي ايضاً .. وحدثتني وهي تلوك خبزتها عن الفيلم الذي شاهدته الساعة وشاهدتُه انا .. وانتهينا من الأكل ومن حديث الفيلم دون ان افكر بالتمرد على وضع لم يكن لي فيه اختيار .. كنت ضجراً اريد ان ارى شيئاً لا يشبه ايامي ... ولم يكن هذا كل شيء بيننا طبعاً ..!! ولما قمت أبغي الانصراف شدت على يدي وقالت بصوت أبح وهي تمر باصابعها على خدي : « عُد ثانية.. ارجوك ، فلست جلفاً .. كالآخرين ! » .

ولم يكن هيناً عليّ ان اعود ثانية فما انا زبون متهالك وما كانت نقودي القليلة تسمح لي بان اتطلع بعيداً ...

ومرّ شهر ، شهران ، ثلاثة قبل ان اعود. وتبينتْ وجهي على ضوء المصباح ، فصاحت بجذل: « أهذا انت ؟ لقد انتظرت طويلاً ان تعود ! » وتطلعت دهشاً لاهتمامها بي . كان هذا غريباً ، غريباً من واحدة يستوي لديها كل الرجال . وان لم تستو محافظ نقودهم .. وبلعت ريقي وقررت ان اتخلى عن خجلي ورفعت اليها جبهة منداة بالعرق وتفحصت وجهها جيداً..

كان في ملامحها قسامة لولا هذه الاصباغ الكريهة وكانت صغيرة نسبياً — دون الخامسة والعشرين — ولم اطق احتمالها باصباغها واحسست باشمئزاز فرجوتها ان تمضي وتغسل وجهها ففعلت وعادت اليّ بوجه جديد وعلى فمها ابتسامة لم تتحجر بعد..

وشعرت بحيوانيتي تتبخر فرحت احدثها — وهي تسألني — عن حياتي ، عن كليتي ، انسان يحاكي انسانة . وسمعتني بدهشة من ابصر الحياة بعين واحدة تنظر باتجاه واحد فقط . ولما قمت وقد جاوز الليل منتصفه طبعت على جبهتي قبلة لم تخل من احساس . ولم اترك لها نقوداً في تلك الليلة ولم تطلب هي .. شعرت انني اعطيتها اكثر مما اخذت !!.

ولكنني لدهشتي وجدت نقوداً في جيبي...حفنة من اوراق النقد عثرت عليها وانا البس ثيابي في صبيحة اليوم التالي ... وعراني الغضب واحمرت اذناي ماذا تظن بي هذه الدودة .. لتشتريني ؟

انا ، ما جلست اليها الا اشفاقاً عليها لا اكثر ...

وانتظرت المساء بعصبية..لأمضي واعلمها في الكرامة درساً!! ولما بلغتها وجدت بابها موصداً .. كان هنالك غيري !!

وعدت ادراجي !

ورأيتها بعد ايام ، ولما شاهدتها نسيت العبارات التي كنت

استحضرتها في ذهني لأصبها في اذنيها .. ومددت يدي بهدوء اعيد اليها نقودها ..

فقالت اسمع : عندما وضعتها ما قصدت الا حيلة تعيدك اليّ.

اما الآن فانا افرض عليك ان تأخذها .. ليس هذا عطاء ..

هذا قرض سأسترده منك .. فيما بعـــد .. لقد عرفت من زملائك ..!!

ثم دعني مرة اشعر بلذة العطاء ...

وابتسمت لي ابتسامة أمّ الى ولد .. واخذت يدي وشدت عليها وقالت .. اظنني احببتك .. يا صديقي ..

وانتفضت ، توقعت ان اسمع في المواخير كل شيء .. الا كلمة كهذه لا تتداولها الاسواق !

ولم ارد عليها وماذا اقول؟ ولكنني احسست نحوها باشفاق عميق .. احسست بانني ابصرها بعينين جديدتين فأرى فيها انسانة مثلي ..

ومنحتها صداقتي !

ظلت تعطيني ، وظللت آخذ ، وكنت اتعذب لشعوري بانها قد تفسر عطفي عليها من قبيل طمعي في عطاياها .. وكنت في قرارتي اود لو تعفيني من هذه التجربة التي تنتف رجولتي في كل مرة ، وانا اتحسس نقودها في جيبي ..

كنت محتاجاً وكان علي ان افلسف الاشياء واوازن بين رجولتي وضخامة المصاريف .. ثم اقنع نفسي بانني سأرد لها كل هذا بعد ان اغدو طبيباً ..

او ليس في صداقتي التي منحتها لهـــا تعويض مؤقت ؟ ؟ وبقينا هكذا عامين !

كنت افكر احياناً في موقفها مني .. كانت تحبني بجنون. وكنت احبها باشفاق. ولا يمكن قط ان اكون معها غير هذا.

كانت تسألني عن مستقبلي ، عن مشاريعي ولكنها لم تحاول مرة ان ترسم لها ظلّاً في حياتي اذ انها تدرك وضعها جيداً ..

وانتهت اعوام التخصص .. وجاء اليوم الذي تمنح الجامعة فيه متخرجيها شهاداتهم ثم تطلقهم في كل سبيل ...

وجاء الى الحفل اهل الطلبة ، واصدقاؤهم . وظللت وحيداً فما باستطاعة اهلي الحضور من منطقة (غزة) وحرت في بطاقات الدخول التي مُنحتها ماذا افعل بها وفكرت في ان اعطي (عايدة) – هذا اسمها ألم اذكره بعد ؟ – بطاقة ولكنني استبعدت الفكرة وخشيت ألسنة اصدقائي السليطة ان تقذف شيئاً يجرحها او انيتهنوها .. في وجودي .. او لعلي .. خجلت بها!

ولكنني وانا آخذ طريقي لأستلم الشهادة من يد العميد لمحتها .. تجلس في الصفوف الأمامية كيف دخلت لا ادري .. ولكنني شاهدتها فاضطربت وصافحت رئيسي بيد مثلوجة وكدت اتعثر وانا اهبط درجات المنصة .. واختفيت ولم اظهر .

لعلها فتشت عني كثيراً .. وسألت عني رفاقي .. ولما يئست من ذهابي اليها لأتقبل تهنئتها واشكر عطفها عليّ ... راحت مغيظة مكسورة الخاطر ...

لقد آلمتها كثيراً بهذا الترفع

ولما رحت اودعها في بيتها وأنبيها بانني سامضي الى اهلي وازورهم ثم انطلق لأعمل في احد مستشفيات شركة الزيت في الجزيرة العربية ، رأيت شفتيها ترتجفان ويدها تنقبض بعصبية على الكرسي .. ثم انفجرت باكية وبدت ضعيفة كأية انثى ... وما لبثت ان عادت الى سكونها وقالت وقـــد اطلقت ضحكة جوفاء ..

ما اسخفني .. كان يجب ان ادرك منذ البداية انك لست مني في شيء ..

انني (..) واطلقت على نفسها اسماً قذراً .

وأشارت بيدها الى الباب .. ففتحتُه وانطلقتُ لأشم هواء نظيفاً وأمشي راسخ القدم الى مستقبلي ...

ومن هناك كتبت لها وارفقت الكتاب بمبلغ متواضع اقتطعته من راتبي الاول ولكن الصك عاد إليّ برجوع البريد مع كلمتين اثنتين ..

« لا اريد » ...

وكتبتُ ثانية ولم ترد وانتهى كل شيء ..

وفي الاسبوع الماضي هبطتُ بيروت بعد غيبة عامين وحملتني قدماي الى حيها أسأل عنها وقرعت بابها فخرجت لي عجوز ملونة سألتها عنها فقالت وقد انفرجت شفتاها عن صفين من الأسنان الذهبية الكريهة من تريد ؟ عايدة ؟ لقد رحلت من زمان .. لا ندري الى اين ؟! ادخل ادخل. فلدينا من هن احسن .. نونا، جانيت ، ببا ! ولما ادرت لها ظهري وقفلت راجعاً شيعتني بشتيمة لعنت بها أبي ، وأبا عايدة ..

وبعد يا صديقي هذه حكاية ، حكاية دودة كما تسميها ... للنشر اذا شئت .. دون ذكر اسمي ..

ليماسول - قبرص

سميرة عزام

قديم .. جديد



لموسى سليمان
الجامعة الاميركية ببيروت

✳

في الأساطير أن إيزيس، وهي زوجة أوزوريس، ملكها زوجها على العرش وذهب لغزو العالم. وفيما هو في الطريق قتله أخوه سَتْ (Set) ومزّق جسده قطعاً قطعاً... فاستطاعت إيزيس، بمونة الآلهة نفتيس وأنبيس وتوتْ أن تعيد الحياة لزوجها وأن تقيمه ملكاً على الأموات...

***

– باردٌ ... بارد كثلوج لبنان تكلّلُ هاماتِ جبالِهِ وقنَنَ رواسيه.

– ولكنني أنا هو الأتون المشتعـــل ... أنا هو اللهيبُ الصّارخ ... أنا هو الإيمانُ الملتهب.

– لقد نادتكَ نفسي ونفسي يحرقها العطش، فلم تُلبِّ النداء ... وخيّبتَ الرّجاء.

– يا للنفوس العطشى ... يروي ظمأها إكسيرُ الحبّ، هو بعضَ ما في قلبي من إيمانْ.

– في الليل في العتمة الموحشة إشتهتكَ نفسي واشتاقكَ جسدي إشتياق الموتِ الى الحياة.

– هو بعضُ شوقي الى ما فيكِ من حياة ...

– ولكنّكَ كنتَ بارداً كالرُّخام، صامتاً كالقبر، موحشاً، معتماً كالموت ...

– يا للآلهة !...أو تتحوّل الزهرةُ الحمراء الى ترابٍ أسود؛ والزنبقة البيضاء الى قطعةٍ من ليل ؟

– أردتُكَ ناياً فضياً أهدهدُ فيه أحلامي وأعزفُ عليه أنغام الحبّ والحياة، فكنتَ قصبةً جوفـــاء تردّدُ عزيف الجنّ وزعيق الموت ...

– ولكنني أنا الذي سخّرتُ لكِ الجنّ وأريتُكِ الجمال في الموت ! ...

– أردتُكَ مسنداً طريّاً أسنُدُ اليه قلبي، وأمرّغُ فيه حبي وآمالي، فكنتَ حجراً يابساً يجثو على صدري كالقبر ...

– ولكنني حجرٌ من نارْ ... على تابوتٍ من نار ... في قبرٍ من نار ...

– عشتُ عشرات الآلاف من السنين أفتشُ عنكَ حتى اذا ما وجدتُكَ تلاشيتَ ... كالحلم ...

– ليتَ لكِ أن تعيشي في عالمِ الأحلام، إذنْ لاستطعتِ أن تعيشي مع الآلهة.

– لستَ سراباً وإنْ كانَ لكَ من السّراب اللمعان. ولكنّكَ الذكاء التائه، والشُرود الحيران.

– أتيهُ أبداً لألتقي بكِ وأشردُ دائماً لأغزو العالم من أجلكِ.

– لقد قتلوكَ مئة مرّة ومزّقوا جسدك ألف قطعة وقطعة.. فمن أعادكَ الى الحياة سواي ؟.

– أعدتني الى الحياة، فصرفتُ في حبّكِ وتمجيدكِ.

– لقد أجابت الآلهة دعائي ومنحتني القوّة فأقمتُكَ من الموت، ونصّبتُكَ ملكاً على المائتين.

– أما أنا فلقد منحتُكِ عرشي وملكتُكِ قلبي، وأقمتُكِ سيّدةً على الأحياء ... فأيُّنا من الرّابحين ؟...

– آه لو كان لي أنِ أعرف اسمَكَ، إذن لغنيتُه ألحاناً ... وصليتُهُ تسابيح !

– آه لو كان لي أن أعرف اسمكِ اذن لحفرتُهُ في قلبي بأحرفٍ من الدّم ! ...

– أوزوريس ... أوزوريس ... يا حبيبي ...

– إيزيس ... إيزيس ... يا حبيبتي ...

بين الانسياق والانعتاق

بقلم نسيم نصر
استاذ التاريخ والأدب في الثانوية الرسمية ، طرابلس

✳

لن احاول في هذا المقال تعريف المذاهب الادبية ، ولا الدخول في مفاضلة بينها ؛ وانما انا محاول عَرْضَ ما تقيد به أدبنـا من انسياق طويل الأمد ، وملمعٌ الى ما شاء له بعض ادبائنا من انعتاق ما يزال ضيّق المدى .

ولعلّ الانسياق ، وهو المنحدر الذي ما تبوح الكثرة من الاقلام العربية تنجرُّ الى مزالقه ، هو المهواة التي لا بدّ لنا من تجنب مواردها وتقليد اساليبها ؛ لننشىء ادباً تتوفر فيه عناصر الأصالة ، بعد التفلّت من أغلال المتقدمين والتحوّل عن مسالك البيان الأجنبي ، مستبقين ، عن السلف العربي ، إشراقة التعبير بعد إدخالها جوّ التحضير ، ومقتبسين ، عن غريب اللسان ، ما يحلو من مطارف الفن وانتجاعات الفكر .

هـذا الانسياق قعد بالقافية العربية عند ابواب الانصياع لأساليب البداوة والانطواء تحت اعتـاب العظماء والانشغال بتأدية انعكاسات المشاعر الفردية ، في مسابك من الكلام وألواح من الرسوم ، زمناً غير يسير ، فحدّه في نطـــاق « عبودية » الاستمرار .

فهذا الأخطل التغلبي ، على الرغم مما تحـلى به من مواهب شاعر كـبير ، لم يجـد بدّاً من ان ينجرّ الى السير ، على آثار سابقه النابغة ، حين اراد ان يغالي في مدح عبد الملك بن مروان ، ليقينه من أنّ شاعر بلاط الحـيرة « استاذ » يُنسَج على نوله ، عند « التسامي » الى رضى صاحب العرش . قال النابغة :

فمـا الفراتُ اذا هبَّ الرياح له ترمي اواذيه العـبرين بالزبد
يمدّه كل وادٍ مترعٍ لجبٍ فيه ركامٌ من الينبوت والخضد
يوماً بأجودَ منه سيب نافلةٍ ولا يحول عطاء اليوم دون غد

وقال الأخطل :

وما الفراتُ اذا جاشت حوالبه في حافتيه وفي امواجه العُشرُ
وزعزعته رياح الصيف واضطربت فوق الجآجىء من آذيّه غدُرُ
مسحنفرٌ من بلاد الروم يستره منها أكافيف فيها دونه ذورُ
يوماً بأجود منه حين تسأله ولا بأجهر منه حين يُجتهرُ

وفي هذه الإلماعة الى اقتفاء شاعر البلاط الأموي آثار شاعر البلاط اللخميّ دليلٌ على ان انسياق الشعراء العرب ، الى الأخذ باساليب متقدميهم واعتماد مجالي بيانهم موضعاً للتسامي ، ظاهرةٌ واضحة المعالم ، وان شئت فقل لازمة ، رافقتهم ، في مديد العصور ، حتى الأمس القريب ، بل حتى الآونة التي نحياها .

ولقد كانت الدوافع ، الى هذا الانسياق المرافق ، تتعدّى احيـــاناً ارادة الشاعر ، النازعة الى التحوُّل او المصمّمة على التجديد ، ليفرضهـا آمرٌ ناهٍ ؛ على نحو ما جرى لأبي نواس ؛ فانه بعد ان قال :

« عاج الشقيُّ على رسم يسائله وعجت اسأل عن خمارة البلد »

وجد نفسه مضطراً الى الامتثال لأمر الخليفة ، في العودة الى وسائل المتقدمين من شعراء العرب فقال :

« أعرْ شعرك الأطلال والمنزل القفرا فقد طالما أزرى بها وصفك الخمرا
. . . .
فسمعاً ، امير المؤمنين وطاعةً وان كنت قد كلفتني مركباً وعرا »

ولست أطيل الكلام على هذه « المراكب الوعرة » التي شاءها لأدبهم مواكب الشعراء اللاحقين ، او فرضت عليهم فرضاً بل أعبر على الإشارة الى مثل انقسام الناس ، في عهد ابي تمام ، الى فريقين : مقرٍ لجديده ونازع الى الإبقاء على القديم ، لأقف بك قليـــلا عند شوقي ، ثم احجز البحث بعد ذلك ، في ادب المعاصرين ، وانوّه بما أراه من خطر على النهضة الحديثـة ، في تدريب بعض المعلمين المؤدّبين خطى الجيـــل الطالع ؛ لما في أساليبهم من الابتذال والانكماشة والارهاق .

أليس في إنجرار شوقي على آثار سابقيـــه من الشعراء ومعارضاته فضليـــات قصائدهم ؛ كالبوصيري في « بردته »

والبحتري في « سينيته » والاندلسيّ في « رثاء الأندلس » وغيرهم في غيرها ... انسياقٌ مستعبد والتفاتٌ مؤخر ...؟ فكان كأنه طوى زمانه وردّه الى أزمنتهم ، وحمل مكانه ونزل به في امكنتهم ؛ فكان « كشاه الشطرنج » يخوض « المعركة » في نطاق من هزل الحياة لا جدّها ومن تمثيل « الحوض » لا القيام به فعلاً ...!!

ولقد صحا شوقي على تسخير مواهبه الفريدة في الالتفات لا الانطلاق، وفي التقليد لا التوليد، وفي « الوقوف بالأبواب » لا الارتفاع فوق الألقاب ، بعد ان وطىء مداخل الشيخوخة فجدّ وجدّد وبنى ففرّد .

ألا تراه معي كبيراً عظيماً وفاتحاً في الشعر العربي بمردّ الفتح في مسرحياته: مجنون ليلى وكليوبطرة وعنترة وقمبيز..؟!

وهنا ، وقد اغفلنا بعض بدائع شوقي القومية التاريخية ، من مثل :

« سلامٌ من صبا بردى أرق ودمعٌ لا يكفكف يادمشقُ »

لا بدّ لنا من الاخذ بالتوفيق بين اعتبارين ، في قيم الادب ومبلغ أثره ومدى فعاليته ، وهما اعتباران يتنازع المتعصّبون لكل منهما ، مقام التفضيل ومنزلة التقدير في مراقي الخلود:

اولهما « الادب وسيلة اندفاع بالحياة والمجتمع الى اسمى وافضل وامنع »

وثانيهما « الادب انطلاقات تفرض وجودها حاجة الاديب الى اداة التعبير »

ولعل المتنبي ، في بعض شعره ، جاء سابقاً موطئاً لقدر من التوفيق بين هذين الاعتبارين ؛ اذ تتوثب حيويته دافقة طيّعة رحيبة المدى ، فتبدد فيها شخصية سيف الدولة وسيلة لا غاية ؛ فكأن حاجته الى قول الشعر هي التي كانت تجعل من الامير الحمداني مدرجاً للانطلاق والاندفاع، ثم الحومة المعالجة المصورة الحكيمة ؛ وهذا ما رفع شعره الى مراتب الخلود ومازه بخصائص العلوق بالذاكرة والبداهة في الرواية ، فكان شاعر الخاصة والعامة على السواء .

ثم اعتذر عن هذه الالتفاتة الى القديم ، بعد ان وجهت الحديث الى الجديد ؛ ذلك لاني وقعت على الحوافز المشتركة بين شاعرين ، يفصل بينهما اكثر من الف سنة ، فرأيت في اشتراكهما واصلاً اوحى بالحاجة الى التعبير عما يحتشد في الخيال وما تجيش به النفس ؛ والشاعران هما المتنبي وابو ريشة.وعندي ان مثل هذا الواصل يجمع الزمان ، ماضيه وحاضره ، لينساق الماضي الى جو الحاضر ، ثم لينطلق الحاضر في رواء جديد يأتلف وما جدّ في معمعان الحياة من مطارف البلاغة وما استحدثه الذوق من الوان الصورة وما فجّره الالم من الكبرياء الجريح وما توجبه حوافز النهوض ، بعد طول الركود من تنفير الهمة وانطلاقتها .

نعم ، ابو ريشة ، هو شاعرنا الاول الذي امتزجت على ريشة شاعريته اسباب الانسياق ببوادر الانعتاق ، الانسياق المجتمعي والانعتاق الفني . وهو امتزاج يحليه العنفوان المارد « Stoicime » ويرفعه عن مهاوي البكاء والشكوى الى مراقي الاستعلاء الملحمي فتروح معه وتعلو على اجنحته الشاعرة الى آفاق ارتفعت بالانشاد القومي فوق العبرة والندم الى سماوة الاشراق والشمم ؛ فيكون الاندفاع انطلاقاً والتفلّت ارتفاعاً ...

اسمع « ابو ريشة » كيف يغني « الواقفين على الطلول » ويخلع على الوزن الشعري ، الذي ماعت عليه شكاوى شعراء الاندلس ميعاناً تسترخي معه عزيمتك وشفتاك وتغرورق له عيناك ! اسمعه يقول ، وقد جلا الاجنبي عن مغاني البطولات في البلاد العربية :

«...من هنا شق الهدى اكمامه	وتهادى موكباً في موكب
واتى الدنيا فرفت طرباً	وانتشت في عبقه المنسكب
وتغنت بالمروءات التي	عرفتها في فتاها العربي
أصيد ضاقت به صحراؤه	فأعدته لافق أرحب
هب للفتح فأدمى تحته	حافر المهر جبين الكوكب »



فهذه ابيات يؤذيها ان تنثر لما في نثرها من نزول بسموّ الائتلاف والائتلاق بين اللفظ والمعنى !! « فحافر المهر » الذي ادمى « جبين الكوكب » في الفتح ، فتح في الخلق الفني لجلالة القصد ...!

وكيف كان الجالون في ارض بلاد ابي ريشة وكيف جلوا عنها ؛ فهو يطلق ذلك في بيتين تجلوهما صورة فيها من العزة والعنفوان ما يدعو الى النشوة والاعجاب ؛ قال :

« درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب
وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب كليل المخلب »

وابو ريشة شاعر البطولة حيث وقع على جلالتها ؛ فهو قبل ان « يودّع » المحتلين بهذه البائية الخالدة ، سبق له ان خلّد « جان دارك » فتاة فرنسا الحرة ، في الشعر العربي ، بقصيدة لم يسمُ الى مثلها شاعر فرنسوي ؛ لان عمر يحب الحرية ويقدّس الانعتاق ... وله من حيوية الفن وحرارة الايمان المشرق ما يعينه على سماوة الابداع .

ولا أحب ان اترك هذا الشاعر البطل قبل ان اقدمه ماردا لا يهون له عزم ولا تذلّ منه نفس؛ فاقرأه يستغرّك الى النفرة من الاذعان لخيانة القائد وجيشه ، مستلاّ من الهزيمة لوحة انتصار وشمّاها بإبائه وعتوه في صراع الكوارث ، اقرأه يخاطب خالد بن الوليد :

« لا تقل ذلك الرجولة يا خالد واستسلمت الى الاحزان
حمحمات الخيول في ركبك الظافر ما زلن نشوة الآذان
قم تلفت تر الجنود كما كانوا منار الاباء والعنفوان
ما تخلوا عن الجهاد ولكن قادهم كل خائن وجبان »

اين انت ، في هذه الابيات ، من دمعة الخائر وبرودة الغائر تقعدهما الخيبة عن الهبّة للثأر وتلازمهما ذلة الانكسار ؟!

واذا أحسّ الدمعة في مرارة تتالي الهزائم لم يرض ان ينساق في خطابها على طريق ابي فراس ، المعروف بشاعر الشخصية ، فيُعيد معه: «... ولكن دمعي في الحوادث غالِ » بل يحبسها في مآقيها ، مهيباً بأمّته أن تطلب مكانها تحت الشمس صائحاً:

امتي ، هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم
أتلقاك وطرفي مطرقٌ خجلا من امسك المنصرم
ويكاد الدمع يهمي عابثاً ببقايا كبرياء الألم
أين دنياك التي أوحت الى وترى كلّ يتيم النغم ؟!

ألا بوركت « بقايا كبرياء الألم » التي تربأ بقدرها عن أن تغمرها الدموع ، عابثة واهنة !! فهذه الكبرياء المتألمة هي التي تسمو بالموضوعات القومية لترفعها الى اجواء الادب الخالص والفن المبدع المتحرّر من كل قيد إتباعي .

وما ينطق ويندفع في ابداعية العنفوان المارد ، في شعر ابي ريشه ، نحسُّ مثله في شعر القروي ؛ ولكن في شيء من التفاوت بين الشاعرين ، فالأول أسمى ريشةً في الفن والثاني اقوى اعتاداً على منازع الطبع الحرّ . وهاك يسيراً من قصيدته « مآسد لا مراع » نظمها ، إبان احتدام الثورة الدرزية على العنف، وأثبتها في الجزء المعروف بالاعاصير، من ديوانه الكبير.

« بدت ولهى ممزّقة القناع فقلت لها : فديتك لا تراعي
فدون حماك أبطال العوالي مؤزرة بأبطال اليراع
رماح كالأفاعي مشرعات وأقلام كأنياب الأفاعي
أطلي واشهدي منهم هجوماً تري وثب القلاع على القلاع
وهل عربية ، هذا أخوها ، تُراع اذا دعا للحرب داع ؟

ومن قصيدته « عيد الفطر » ألقاها في « صنبول » البرازيل سنة ١٩٣٣ :

صياماً الى ان يُفطر السيف بالدم وصمتاً الى ان يصدح الحق ، يا فمي
أفطرٌ واحرار الحمى في مجاعة وعيدٌ وأبطال الجهاد بمأتم ؟!
بلادك قدمها على كلّ ملة ومن أجلها افطر ومن اجلها صم !
فما مسّ هذا الصوم اكباد ظُلّم ولا هزّ هذا الفطر ارواح نوّم
لقد صام « هندي » فجوّع دولة فهل ضار علجاً صوم مليون مسلم ؟!

وبعد ، فما صحّ من ابداعية العنفوان الجريح في انطلاقة تحرّرت من التقليد ، صحّ مثله في مجالي الوجدانية الخلاقة ، تعنو لها عناوة الفلسفة ، تنطلق الفكرة الحكيمة ، وقد تأزرت بمئزر السذاجة ، فتتفتح لها قابلية الفهم تفتحاً تشرع ابوابه بداهة مغرية شيّقة . وخير المحلقين في هذا الأفق الرحيب ايليا ابوماضي وقد سبق أن خصصناه بمقال ، تحت عنوان : « بداهة الفلسفة في شعر ابي ماضي » في الأديب عدد يونيو سنة ١٩٥٢ ، نرى من الخير ان نستعيد منه ، الى سياق هذا البحث ، عبارةً من بعض ما قدّم به أديب التأملية ، ميخائيل نعيمة ، ل « جداول » ابي ماضي قال :

« بين هذه الجداول ما تنساب روحي معه ، مترقرقة ، مترنة ، مطمئنة ، جذلة بنور في عينيها ، وجمال في جانبيها ، مرحة بحرية لا ارصاد عليها ولا قيود ، ومدى لا آفاق له ولا حدود ... » .

ولنا عودة في « أديب آخر » الى استطراد الكلام على بعض شعرائنا المعاصرين المتحررين من قيود الانسياق الى آفاق الانعتاق ، مع لمحة الى خطر الانسياق التوجيهي في تدريس الأدب العربي .

نسيم نصر

اعصار

*

وهذا الشوك المحتشد على اوراق الورد ،
عطر تجمـــد ليردّ الاذى عن عطر
غير متجمد ،
والشتاء حكاية عنيفة من حكايات الربيع
وفي النار ، في حمم النار ،
ضوء ساطع يشق كبد الظلمة .

كل شيء جميل ،
واجمل الاشياء صورة صبّها الانسان ،
على لوح الحياة بالدم والنار .
سكت البحر ، فلم يشعر النوتي بعظمته ..
هدأ الليل ، فلم تشعر القافـــلة باشباحه
وجنياته ...
واعطى القدر ، فلم يبحث قلب في روعته ..

كنا في نافذة البحر ، وكأسان من
غير خمر ،
مرّت بنا الريح فما اقامت في مطافنا ،
وعبر بنا الليل ، مساء الليل ،
فما احتشدت اساطيره على اهدابنا .

متى تتفجر كؤوسنا بصهبائها
متى يثور البحر فيحطم زجاج النافذة
متى يتحرك الموت ، موت السكون ،
فنخرج وفي يدنا قطعة من الزجاج
وقطرات من الماء
نسقي بها عطش الارض

امام شرفة بيتنا شجرة ،
لا نخاف منها الا يوم تهتز اغصانها اهتزازاً
نحن نكره الهدوء ...
متى تتحطم هذه المقاذيف على هذه الامواج
متى تثور هذه اللجة فتزعزع هذه الضفة
لمحة من تمرد ...
متى تلتئم جراح هذا القلب الممزق
في اصبعي خاتم من ورق الورد
اشمه كل ليلة
ما اقوى المحبة ...
كل حرف منها قمة
من قمتنا نطل على ارض الضوء .

مرت العاصفة ببيتنا فخلعت النوافذ
عندي غرفة كل حجر فيها اعصار
المحبة اعصار في مهب النجوم .

جُنَيَّة حموي

الفنان بين الواقع والالهام

بقلم محمود تيمور

ثمة فنانون تصطبغ أنفسهم بما يمارسون من عيش . وما يحيط بهم من ملابسات البيئة فينفضون أثر ذلك فيما يؤثر عنهم من تعبير وتصوير .

ومن الفنانين فريق آخرون يعبرون عن بيئة غير التي ألفوا . وحياة غير التي يحيون . ويصورون مشاعر ومنازع ليسوا لها بأهل . ولعلهم من تلك البيئة والحياة ، وهذه المشاعر والمنازع ، على طرفي نقيض .

فأي الفريقين ابلغ بياناً ؟ وايهم اصدق حديثاً ؟

الجواب الحاضر هو ان المواقف الوجدانية والتأثرات النفسية تتولد من المعاشرة والمخالطة . ومن الانغماس في عباب الحياة الصاخب . فكلما كان اتصال الفنان ببيئته قوياً . رهف احساسه بما ينتظمها من شئون الحياة . وشف تعبيره عمن فيها من صنوف الناس ...

واذن فكل امرىء بعيشه أخبر . وبحياته اجدر . وبنفسه ادرى . فان عبر عن اولئك فهو صادق في فنه اصيل . والا فهو لا شك واغل دخيل . يتكلف ما ليس من سعيه ويتعاطى غير ما في وسعه ، فتعبيره باطل من القول وزور .

والمجيبون بهذا يعجبون لفنان يصف من مختلف البيئات ما لم يخالط . ويستنكرون ان يتحدث عن اناس ليسوا من قبيله ويتعاظمهم ان يصور من العواطف والنزعات ما لا يجد .

وهم ينشدون قول الشاعر :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

بيد ان هذا الجواب الحاضر — وان كان منطقي القياس . ظاهر الصواب . عليه مسحة الحق — ليس فيه مقنع لباحث متفحص . يتتبع آثار الفنانين التي مضوا عنها . ويتبين اشتات العوامل والدوافع التي تحدو الفنان على ان يصف ويعبر . فيجيد الوصف والتعبير .

★

ما اكثر الفنانين الذين اجادوا في التعبير عن حياتهم وملابسات عيشهم ...

ففي ادب الشرق يبلغ « جميل بثينة » الذروة في وصف الحب العذري ، وينفرد « ابو العلاء المعري » بحكمة الحياة وفلسفة الوجود . ويضرب المثل « بابن الفارض » في شعر التصوف ... كلهم كان فنه مرآة نفسه . وصورة حياته .

واضرابهم في ادب الغرب كثير . هنالك « بايرون » شاعر الغرام المتجدد الريان . و « موباسان » قصاص الحياة الصاخبة بالشهوات والنزوات . و « جوركي » مصور حياة الصعلكة والفاقة والحرمان .

هؤلاء وهؤلاء نضحت اقلامهم بما ترشفوه من افاويق الحياة. فابدعوا فيما جلوا من ألوان كانت صبغة عيشهم الذي زاولوه .

ولكن هذه الامثلة . وان فاتت العد . واستعصت على الاستقصاء . لا تقف حائلا دون ان يكون ثمة جانب آخر يتجلى به وجه الرأي في هذه القضية الخطيرة من قضايا الفن والادب .

★

على اي الدعائم ينهض العمل الفني ؟ أينهض على دعائم من تصوير للبيئة . ورسم للمشاهد والمناظر . وسوق للمواقف والاحداث ؟

هذه لا ريب بعض اسناد الفنان في عمله الفني ...

ولكن وراء ذلك جوهراً من نفسه يعطيه . لا غنية له عنه. ولا قيام لعمله بدونه ...

ذلك الجوهر هو ان يصهر اخلاط مرئياته ومسموعاته في بوتقة نفسه . ويعالجها بألوان اختباراته وتجاربه . ملهباً تحت هذه البوتقة نار استجابته وتأثره حتى تبلغ تلك الاخلاط درجة النضج . فيخرج العمل الفني سوياً تتمثل فيه صنعة الفن ومزاج الفنان .

وما اشبه تلك المعالجة والمزاولة بتمثيل الغذاء في عملية الهضم للطعام. أو تجهيز العقاقير في معمل كيميائي ليتألف منها الدواء.

يقول « أندريه موروا » : « ان الكاتب احين يصب مشاهداته للناس في قالب قصصي ، يحذو حذو صانع الزجاج حين يبدع من كتلة لا شكل لها تحفة تبهج الانظار وتنفع الناس . »

وصدق الكاتب في قوله . فــلا غناء للفنان عن المادة التي يصوغ منهـا فنه ، وهي المشاهدة ، ولكنه اذا التقط المرئيات حواليه ، فلا بد له ان يختزنها في مستودع تجربته . ويحتضنها في مكامن استجابته ، ليستشف منها ما وراء المحجب ، ويكتنه ما تخفيه من الدوافع والبواعث وينفي عنها مـا يتدسس فيها من خدعة وشوب ثم يكون له من قوة خياله ، وروعـة تصويره ، عون عـلى ان يبث في هذه المادة حياة ، فاذا هي عمل فني فيه للنفس بهجة وامتاع وفيه بحقائق الحياة تبصير واقناع .

★

يحيا الكاتب بين الناس حياته المألوفة. يرى ما يرى ويسمع ما يسمع . شانه في ذلك شأن سائر الناس حين يرون وحين يسمعون . وله كسائر الناس مشاعره وأحداثه ازاء مرئياته ومسموعاته . وهذا كله يترسب في وليجة نفسه. مختلطاً بعضه ببعض . حتى تسنح له خطرة عابرة . أو فكرة طارئة فاذا هو قد استبد به الموضوع الذي لاح له واذا هو مستجيب يطلق من عقله الباطن ما يختزن واذا هو في جو من موضوعه تحيط به أبخرة متصاعدة تملك عليه جوانبه وتفيض عليه شآبيب القول . وما هذا الذي يفاض عليه الا عصارة تمتزج فيها تجاربه الشخصية ، وأحداثه الخاصة بما شهد وما قرأ وما سمع من أشتات التجارب والأحداث .

في هذه الجلسة التي يجلسها الكاتب الى نفسه. خالياً بموضوعه معداً له رصيده من الرؤية والسماع . ومن التجربة والخبرة . ومن التأمل والتخيل . يفارق الكاتب صحوه. أو ينوم وعيه . ليمرح في رحاب الاستلهام . أو ما يشبه عالم الأحلام. وهو في هذه الحالة يمارس لوناً من صوفية فنية يتحرر فيها من قيوده . ويحلق في الآفاق ما طاب له أن يحلق . ويفصح عن استجابته وتأثره في حرية وانطلاق .

★

وان نجاح الفنان فيما يخرج من عمل فني موفق . لهو على مقدار ما يكون بينه وبين عمله من تلاؤم ووفاق . فذلك هو شرط الاستجابة وهو سر التوفيق والنجاح .

والفنان اذا استجاب لعمله فقد أصفاه الحب . وليس الحب الا جاذبية . وهذه الجاذبية تتحقق في حالتين : فاما أن يكون المحبان على نمط واحد فيتعاشقا ، واما أن يجد كلاهما في صاحبه من الصفات ما يحببه اليه . وان كانت عكس ما هو عليه .

ومصداق ذلك أن يحيا أمير مترف بين حرائره وحظاياه الخاشعات . فيدركه الملال. وتصادفه في طريقه فتاة في طبعها اباء وجموح. وان كانت أدنى من حرائره شأناً. وأقل من حظاياه حسناً. فيستهويه منها اباؤها وجموحها كل الاستهواء. ولا تلبث أن تملك عليه أمره فيذل لها أيما ذلة . وما يزال بها حتى يروضها على الرضى به. والاخلاد اليه. وهو يرى في تمنعها عليه . ومخاشنتها له سعادة تملأ أقطار نفسه من حيوية واهتياج .

★

ربما كان الكاتب ممن تتجافى بهم ملابسات حياتهم عن ممارسة العيش في أسواقه العامة . وهو مع ذلك يصور من شئون الناس ونفسياتهم شكولاً على أوسع نطاق . فيتساءل الناس في شأنه . ويتعجبون منه كأنما يحسبونه متعاليا في برج. أو معتزلاً في صومعة. وبين يديه منظار يستدني به الى عينه خفي المشاهد وبعيد الأحداث .

الاستاذ محمود تيمور

وليس في الأمر مــا يدعو الى عجب ومُساءلة. فان الجانب الاجتماعي من الحياة شركة بين الناس أجمعين . وهو ميدان رحيب فيه لكل اذن مستمع ، ولكل عــين منظر ، ولكل شعور مهز ... فمن أصغى سمع ، ومن حدق رأى ، ومن أرهف عاطفته شعر ، فان أوتي موهبة التعبير استجاب .

متى استخلص الكاتب نفسه لفنه، وآمن حق الايمان برسالته، دارت به أمواج الحياة في بيئته ومجتمعه ، فلم يمتنع عليه منها لؤلؤ ولا صدف . ومتى اكتملت له القدرة على أن يسبح في العباب تردد في الأعماق حتى يبلغ القرار .

الناس مع الناس، والناس للناس، ومن التقارب بين الناس ما هو كاذب عقيم، ومن التباعد بينهم ما هو زائف موهوم. وليس يعوز الناس على تفاوت بيئاتهم واختلاف احوالهم لكي يحس بعضهم احساس بعض الا عين تسجل الواقع، وبصيرة تسبر الغور، ووجدان ينتفض بالاستجابة والتأثر فاذا تهيأ ذلك كله فلا عبرة بما يكون من ظواهر التباعد، واذا لم يتهيأ فلا جدوى للتقارب على اي نحو يكون.

★

يكفي أن يخالط الفنان صنفاً من الناس ولوناً من الحياة، نوعاً من المخالطة قل أو كثر. فسرعان ما يتأثر بهذا اللون وذلك الصنف، وسرعان ما يجد في هذا التأثر مدرجة لاجادة الوصف والتعبير تسعفه الفطنة، وتمده البصيرة، ويحلق به الخيال في الآفاق والأعماق.

زار الكاتب المعروف «جورج ديهامل» الولايات المتحدة. وسجل خواطره في هذه الزيارة فانتقد الحياة هنالك انتقاداً لاذعا، وقد سخر منه الاميركيون فقالوا: كيف يزعم «ديهامل» انه اصاب المرمى في الكشف عن الحياة الاميركية، ولم يكن مقامه هنالك الا اسابيع؟ فكان جوابه: ان المرء لا يحس معايبه على طول عشرته لها، فالاميركيون لا يحسنون ان يتعرفوا نقائص البيئة التي يحيون فيها، لانهم ألفوها، والرائحة الكريهة يعتادها الأنف فلا يجد فيها غضاضة. فاما الطارىء الغريب فان الرائحة تفغم خياشيمه، فينكشف له طيبها او خبثها اول وهلة.

ولا يخلو هذا الكلام من حق، فان خبير الانبذة لا يحتاج الى ان يكرع الكأس حتى ثمالتها لكي يتعرف مذاق الشراب، وان حسوة عاجلة، او رشفة خاطفة، خليقة ان تكشف لهجلية الامر وقد يشرب الشارب كؤوسا مترعة، دون ان يتعرف من اسرار المذاق ما تعرف الخبير الفنان بالحسوة العاجلة والرشفة الخاطفة.

وفي هذا المعنى يقول «سومرست موم»: «ليس من الضروري ان يأكل الكاتب حملاً كاملاً ليستطيع ان يصف لك مذاق لحم الضأن، فبحسبه شريحة صغيرة، ولكن لا بد له من ان يذوقها ...»

★

ليس شرطاً ان يكون الكاتب محاميا ليتحدث عن المحاماة، ولا قاضيا ليصور القضاة، ولا وزيراً ليكتب عن الوزراء، ولا طبيبا ليعالج شخصية الطبيب.

ليس من الحتم ان يكون الكاتب عاشقا ليصف العشق، ولا مجرماً ليحلل الاجرام، ولا فاجراً ليدرك معنى الفجور، ولا شيطاناً ليكتنه حقيقة الشيطان. ليس من صواب الرأي انه لا يحسن جلاء نفسية المرأة الا المرأة.

وانى للكاتب ان يجمع بين هؤلاء جميعا، وهو في قصة واحدة او مسرحية واحدة تتزاحم عليه هذه الشخصيات على اختلاف طبائعها وخصائصها ليبرزها في عمله الفني؟

وما ظنك بأبطال التاريخ؟ كيف يكون موقفنا منهم وقد انقضت عصورهم، وانطوت صحائفهم، فلم تبق لنا منهم الا ذكريات؟

أمن الحتم الا يتحدث عن احد منهم الا من كان قريعه وضريبه، يمارس من البطولة ما مارس، ويلقى من العيش ما لقي؟ ينعم بمثل ما نعم، ويشقى بمثل ما شقي؟

لقد وصف «دانتي» مشاهد الآخرة من الجحيم والمطهر والفردوس، وتعاطى «ميكل انجلو» تصوير النبيين «موسى» و«عيسى»، ومارس غيرهما من مثل هذه الاعمال الفنية ما لا عين رأت ولا اذن سمعت، فجودوا الوصف، واحسنوا التصوير.

★

المنطق ينادي بان نقول للفنان: انتظر حتى يأتيك الموت، فيباح لك ان تتحدث عن مشاعر الموتى، فاما وانت حي فلا يسوغ لك ان تعدو بحديثك جانب الاحياء.

ولكن الفنان لا يعبأ بهذا المنطق ولا ينتظر حتى يدركه الموت عياناً، وإنما يموت وهو على ظهر الحياة يتنفس، ويستودع جثمانه بطن الثرى، وقلبه ما برح يخفق، بل ان قلبه ليمسك عن الخفقان ان شاء، وتحلق روحه ترتاد ابواب الغيوب في اجواز الفضاء حتى يدرك وطره من رحلة في جوف الارض او في عرض السماء، ثم ينبعث ليستأنف حياته معافى في بدنه، آمنا في سربه، له حيثما شاء وكيفما شاء اسراء ومعراج، لا ينكره عليه احد. ولا يجادله فيه مستريب.

★

فن الكاتب كله في استطاعته ان يندمج في الشخصيات التي يتناولها، وان يساير الحياة التي يعالجها، وحسبه في سبيل ذلك ان يعرف من شؤون الناس ومن اوضاع بيئاتهم ما ييسر

له ان يتمثل وان يندمج ، ومتى احسن التمثل واجاد الاندماج ، كان بين هؤلاء الناس على اختلافهم وتباينهم فرداً منهم ، يحيا معهم ، ويقف مواقفهم فلا يعيا بتصوير وتعبير .

في مقدور الكاتب ان يكون خيراً يصطنع صلاح الاخيار ، وان يكون شريراً يتكلف نزوات الاشرار ، اذ يتقمص الشخصية التي يزاول رسمها ، فيداجها ويمازجها ، حتى يكونها ... وهو في ذلك شبيه بالمحامي الموهوب يدافع في احدى قضاياه عن مبدأ ، ويدافع في قضية اخرى عن مبدأ آخر يخالفه وليس في هذا من تناقض او تعارض ، وانما هو استجابة لكل قضية على حدة وتأثر بما فيها من ملابسات واحداث ، ومعالجة لموضوعها في براعة وافتنان .

★

الكاتب قرين الممثل على منصة المسرح ، ولزام ان يتوافر للممثل امران : موهبة ، واستجابة ... فمتى كان موهوباً في فنه ، مستجيباً للشخصية التي يريد ان يشخصها في إهابه ، استطاع ان يتلبس بموضوعه مستعيناً على ذلك بألوان المعالج التي تيسر له مكنة التمثل والاندماج .

لقد اريدت « سارة برنار » على ان تمثل شخصية المرأة التي يتحيفها مرض السل . وذلك في مسرحية « غادة الكاميليا » . فكانت ترتاد المشافي والمصحات التي يأوي اليها المصدورون ، حتى تلتمس الوسيلة الى اتقان التمثيل . وقيل ان اروع مواقفها على المسرح هي مواقف الموت ، وقد اوتيت هذه الروعة بأنها كانت تؤم القبور في جنح الليل ، على ضوء القمر ، تناجي الراقدين تحت الثرى .

فالفنان يعوزه ان يتعرف معالم موضوعه لكي يهيىء له جوه الملائم ، ولكي يتلمس ما يذكر في جنبات نفسه مشاعر الاستجابة والتأثر ، حتى يتاح له الاستغراق في عمله الفني على الوجه المنشود .

★

لقد يهفو الفنان الى نوع من الحياة غير الذي يحياه ، ويتطلع الى جديد من العيش غير ما هو فيه ، يبعثه الحرمان والنزوع الى تمثل تلك الحياة المرموقة والاستمتاع بها في عالم الوهم والخيال . ومن ثم يستبين تعبيره قوياً حياً يصور بيئة غير بيئته . وطبقة غير طبقته ، وحياة غير حياته .

ثمة نقص في ناحية معينة ، يحاول الفنان ان يستكمله ، فتراه يلهج به على غير وعي منه ، واذا هو يجود في تصويره أيما تجويد .

ثمة عقدة نفسية يهيمن على الكاتب سلطانها الغلاب ، فيخرج عمله متأثراً بتلك الصفدة منقاداً لها ، لا يملك منها الفوات .

يقول الدكتور « اكسل مونتي » السويدي ، وهو اديب وطبيب مارس المباحث النفسية : « معظم المؤلفين الذين يلذ لهم ان يخوضوا في حديث المواقف الجنسية . هم في العادة اقل الناس تمرساً بها ، واقبالاً عليها ... »

رب كاتب مسقط رأسه الريف ، هنالك درج ، يصبح اليوم في المدينة لا يعير الريف اهتمامه ، ذلك لأن « مركب النقص » يحدوه ان يتجافى في القرية ما وسعه ان يتجافى ، فهو اولع ما يكون بوصف حياة الترف وعيشة البذخ في اندية المدينة ، مبهور العين بأضوائها اللألاءة يقحم نفسه فيها اقحاماً ، ويلتزمها التزاماً .

ورب كاتب مدني ، عشيت عينه بتلك الأضواء فحاد عنها الى ألوان من الحياة طريفة تفتنه وتسبيه ، اذ يجد فيها اسراراً مستورة ، عنه ، فيقبل عليها يتعرف ويتكشف ، كأنه يمارس مغامرة محببة اليه ، هو فيها « سندباد » جديد تهتاج نفسه بما يرتاد من مجاهل الآفاق ، شأنه في ذلك شبيه بشأن جواب من الغرب تشوقه احلام الشرق ، فاذا هو بين البدو على مرامي الصحراء يعيش في الخيام ...

فمن البواعث في نفس الفنان ان يكون قد ادركه السأم النفسي من عيش مملول ، او هزه التطلع الوجداني الى طريف من الحياة مستور فهو يتنكب عما ألف من عيش وما مارس من شأن ، متخذاً في عمله الفني مناحي اخرى ، تسوقه الى ذلك عوامل خفية على غير إرادة منه او على غير وعي . ولعل من هذه العوامل انه لا يتحدث عن حياته المألوفة . خشية ان يبدي من عوارها ما يمسه او ما يتصل به على قرب او على بعد ، فهو ضنين بمعايب تلك الحياة على الظهور والأنكشاف ، وهو ضنين بنفسه ان تلحقه منها تبعة او يناله نقد ، وعسى ان يكون من بين تلك العوامل ان حياته مبذولة لديه ، حائقة به ، لا تشبع فيه فضولاً ولا تكشف له مجهولاً .

★

تراث الحياة الادبية والفنية ، في الشرق والغرب في القديم والحديث ، يحفل بالنماذج والامثلة على ان الفنانين يختلفون شكولاً وافانين وانهم كانوا بين واقعهم والهامهم متلائمين حيناً

متباينين حيناً آخر وما كان للتلاؤم او التباين فضل فيما كسبوه لأعمالهم من تجويد وتخليد . وانما كان الفضل الاول والآخر لما أوتوا من عبقريات ومواهب . ولما ركب في نفوسهم من حوايا وعقد ، ولما اندس في حياتهم من عوامل وبواعث ، فمنهم من احسن تصوير الواقع الذي يعيش فيه ، والبيئة التي انبتته ، فهو يترجم عن سمعه وبصره وشعوره ، ومنهم من صدف عن واقعه وبيئته ، وانطلق يستلهم ما يشاء مطاوعا في ذلك اشواق نفسه، ودوافع وجدانه ومنهم من جمع بين الحسنيين ، مقسم القلب بين التصفح لما هو فيه ، والتطلع الى ما يصبيه ويغريه ، وكلهم متلاقون على ذروة الاجادة والابداع .

★

فاذا طوفنا بأدب الشرق نقطف منه امثلة سائرة ألفينا « طاغور » سليل الامراء والسراة ، وربيب العز والجاه ، يتحدث عن آلام الناس وبخاصة الطبقات الكادحة ، فيسمو في اغانيه الى افق لا يعلو عليه فنان .

ورأينا « أبا العلاء المعري » يتخيل الليل ، فيبلغ من وصفه ما لا يبلغ الراؤون ، اذ يقول في احدى قصائده :

ليلتي هذه . عروس من الز — نج عليها قلائد من جمان
وكأن الهلال يهوي الثريا — فهما للوداع معتنقان
قال صحبي في لجتين من الحنـ — ـدس والبيد اذ بدا الفرقدان
نحن غرقى فكيف ينقذنا نجـ — ـمان في حومة الدجى غرقان
وسهيل كوجنة الحب في اللـ — ـون وقلب المحب في الخفقان
يسرع اللمح في احمرار كما تـ — ـسرع في اللمح مقلة الغضبان

ويتخيل كذلك السيف فيقول في وصفه مبدعاً في القول :

محلى البرد تحسبه تردى — نجوم الليل وانتعل الهلالا
مقيم النصل في طرفي نقيض — يكون تباين منه اشتكالا
تبين فوقه ضحضاح ماء — وتبصر فيه للنار اشتعالا

ومن شعراء العربية في العصر الاموي اثنان امرهما عجب ، ذانك هما « جرير » و « الفرزدق » كلاهما شاعر مبرز ، احدهما احسن التغزل وما عشق ، والآخر عشق ولكنه لم يحسن ان يتغزل ، كان « جرير » أرق منه نسجاً ، وابدع نسيباً ، وكان يقول : « لو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على شبابها » .

ويروى عن « الفرزدق » انه قال في تفاوت ما بينه وبين « جرير » : « ويح ابن المراغة ... ما أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وما احوجني مع ما أنا فيه الى رقة شعره ... » .

ونحن نتروى قول « جرير » في تشبيهه بالنساء :

ان العيون التي في طرفها حور — قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به — وهن أضعف خلق الله أركانا

ولكن تاريخ « جرير » الشاعر المتغزل يشهد بأن « العيون التي في طرفها حور » لم تصب منه مقتلاً ولا شبه مقتل . وانه عاش مبرأ معافى في ظل حياة زوجية فيها سكينة واطمئنان . الا ان هذه الحقيقة لم تحل بين « جرير » وبين ابداع الشعر الرقيق في النسيب والتشبيب .

وقد عمد الفيلسوف « ابو بكر بن الطفيل » الى ان يتمثل في قصته « حي بن يقظان » ، طفلاً ألقى به اليم الى الساحل فبقي في منقطع من الارض وحده لا حاضن ولا انيس ، وجعل الفيلسوف الفنان يصور لنا كيف يتهدى الطفل بغرائزه الى طبائع الاشياء وحقائق الحياة ، وكيف يستجلي بعقله وتأمله حكمة الخلق ، ويستبطن فلسفة الوجود ، حتى يبلغ من ذلك مبلغ الوصول الى ذلك السر الازلي الابدي ، سر الألوهة الخالدة ... وهو في مطاوي قصته يدارج الطفل في مراحل نشوئه وتطوره ويواصل اكتناه سريرته ونجواه كأنه معه بمرأى منه ومسمع ، او كأنه متلبس بوجدانه يصغي الى خفقات قلبه وهتفات روحه ثم يصورها في جمل وعبارات .

وذلك « ابو حيان التوحيدي » يصفق بأجنحة من خياله فيطير الى عهد الخلافة في صدر الاسلام ، ليتمثل له « أبو عبيدة » متوسلاً بين « أبي بكر » و « عمر » وبين « علي » في شأن البيعة ، ناقلاً الينا ما دار بينهم من مفاوضة وحديث ، مما يجلو نفسياتهم وما تتناجى به خواطرهم في هذا الموقف الدقيق ، فاذا « التوحيدي » يصوغ لنا صفحة من الادب الفني بالغة الروعة ، لك ان تسميها مسرحية من التاريخ قصيرة . ويعلم الله انها من وحي « أبي حيان » والهامه ، ومن فيض تخيله وتمثله وان اجراها مجرى النقول التاريخية المروية باسناد .

ولو تسنى لنا ان نتتبع « عمر بن أبي ربيعة » في اقاصيص شعره الغزلي ، و « بشار بن برد » في أوصافه الشعرية التي يتخيل فيها صور المرئيات ، وان نتقصى « الجاحظ » في احاديث بخلائه و « الشريف الرضي » فيما نسبه من القول الى « علي » في نهج بلاغته ، وان نتدارس شعر « شوقي » في حكمياته ومناجياته الدينية . وأضراب هؤلاء من الكتاب والادباء لأصبنا امثلة قوية من اثر الالهام والتمثل في البيان الفني الرفيع مما يبدو فيه اثر الواقع منقوص الحظ قليل الامداد .

وحسبنا ان ناخـذ في حديث « أبي الطيب المتنبي » عزاف لحن الحرب على قيثارة الشعر . وأندى الشعراء صوتاً في التغني ببطولة السيف والاشادة بالفتوة والسطوة والغلب ، ذلك الذي وصفه « ابن الأثير » الاديب فقال بحق :

« ... اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها ، وقامت اقواله للسامع مقام افعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا ... »

هذا « المتنبي » ... أتراه اقتحم معركة او شارك في حرب وضرب ؟ لقد بلغ من افتتانه بالقتال والصيال ان يقول في شبابه :

وان عمرت جعلت الحرب والدة   والسمهري أخاً والمشرفي أبا
فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي   والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

بل لقد ادعى لنفسه مجد المغالبة والنضال في قوله :

ومطالب فيها الهلاك أتيتها   ثبت الجنان كأنني لم آتها
ومقانب بمقانب غادرتها   أقوات وحش كن في أقواتها

ولكن هـذا التولع بالحرب ، والافتتان بالقتال ، وهذه الدعوى العريضة في خوض مهالك الوغى وتدمير الجيوش وهزم الأعداء ، لم تتمخض في حياته كلها الا عن احداث ثلاثة : اولها ان جماعة من غلمان « ابي العشائر » تعرضوا له في طريقه ، فكر عليهم « ابو الطيب » فضرب احدهم فقطع قوسه واصاب ذراعه ، والثاني انـه في مهربه من « مصر » الى « الكوفة » فسد عليه بعض عبيده .

وبينما يهم عبد له بسرقه جواده ضرب « ابو الطيب » وجـه ذلك العبد فقسمه ، وفيه يقول :

أعددت للغادرين أسيافا   أجدع منهن بهن آنافا
اذا امرؤ راعني بغدرته   أوردته الغاية التي خافا

والحدث الثالث هو الذي كان فيه حتفه ، اذ خرج عليه بعض الفوارس فقاتلوه حتى قتلوه .

واذن فلم يكن « المتنبي » مسعر حرب، ولا بطل عراك ، وانما هو رجل بعيد الهمة ، حديد النفس يلهج بالسؤدد والمجد ، ويطمع في الغلبة والسلطان ، وهو نزاع الى الحرب والضرب ، طموح الى القتال والصيال وعرف ذلك من نفسه منـــذ صباه ونادى بأن « المجد للسيف ليس المجد للقلم » ولكن الزمن لم يسعفه بما اراد . والملابسات لم تواته بما امل ، فظل ينفث اهواءه ونزعاته ترنيات واناشيد ، وبقي على تحنانه وتشواقه يلبس الدرع في غير حرب ، ويخوض الغمرات في الخيال والوهم . ويحلم بأنه يعاقر المنايا ويقارع الكماة ، حتى صادف من « سيف الدولة الحمداني » الفارس المغوار مسعراً للحرب وبطلاً للمعارك فتجرد له يصف وقائعه ، ويتمدح بانتصاراته يبرد فيها غليله المشبوه ، وينفس عن صدره المكروب ، وكأنه يصف نفسه ، ويتغنى بما له من اقدام واقتحام ...

ما كان اشوق «المتنبي» الى ان يصارع الاسد في الاجمات ، ولكن كفاه هذه المؤونة « بدر بن عمار » احد القواد وفرسان الحروب ، اذ خرج الى اسد فظل يضربه بالسوط حتى مرغـه بالتراب ، وهنا يبرز « المتنبي » وقـد سمع بما كان من مصرع الاسد على يد الفارس الشجاع ، فاذا هو ينشد ابياته الرائعة في هذه الموقعة ، وفيها يقول في وصف الأسد :

ورد اذا ورد البحيرة شارباً   ورد الفرات زئيره والنيـلا
متخضب بدم الفوارس لابس   في غيـله من لبدتيه غيـلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا   تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الا أنه   لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه   فكأنه آس يجس عليلا

هذا « المتنبي » هو الذي يقول متحدثاً عن بطولته :

الخيل والليل والبيـداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

والواقع ان الخيل والليل ، والسيف والرمح ، لم تعرفـه مخاطراً بنفسه ، ولا مقارعاً بسيفـه ، يخوض المعامع ، ويغشى الوقائع ، وانما عرفته ناجياً ببدنه من طالبيه ، ملتمساً المهرب من سلطان لم يفز منه بطائل ... وهكذا تمخضت بطولة شاعر الملاحم الاكبر عن قوس تقطـع ، وذراع تجرح ، ودم عبد يسيل بليل على شفرة الحسام الظامىء . الا ان شعر « المتنبي » في الحماسة ، ووصفه للحروب سيلبث عـلى وجه الدهر يسجل لصاحبه بطولة الشاعر الفنـان ، لا بطولة الضرب والطعان ... وكفاه .

والطريف ان « سيف الدولة » الذي اوحت ملاحمه الى « المتنبي » روائـــع القصيد ، لم يؤثر عنه شعر في هذه الحروب التي كان يتصلى بنارها ، ويكابد مـا يكابد منها ، على حين انه كان اديباً له في الشعر ، مشاركة ، وله بالنقد الادبي بصر ... ذلك لأن « سيف الدولة » لم يكن ظامئاً الى ري المقال وفيض البيان . فلديه من ري الفعال وصدق القتال شاغل عن شقشقة اللسان .

واخيراً ها هوذا « الدكتور محمد حسين هيكل » ... نشأ في احضان الريف . فلم تهزه مناظره وأخلاق اهله الى الكتابة والتصوير ، وهو بين ظهرانيه مقيم ، يصابحـه ويماسيه ، ولكنه

ما كاد يرحل عن وطنه الى « باريس » طالب علم ، حتى دفعه حنينه الى الوطن ان يتمثل ريفه ، عـلى البعد ، واذا هو يجد لذلك عذوبة لا تخلو من لوعة ، واذا هو يكتب هنالك في ربوع الغرب قصته « زينب » باكورة القصة المصرية الحديثة ، فقد ظل تأثره بالريف ، واعتزازه بأهله كامنا في حنايا نفسه ، حتى نأى عنه ، فتخايلت له أطيافه تثير فيه نوازع الحنين ، وتلهمه تلك القصة الفنية التي هي في أدب العربية فتح مبين .

★

اما في الآداب الغربية، فالأمثال كثيرة... كان «شكسبير» ممن نجلتهم مهود خشنة ، وبيئـات مجهودة ، أبوه زارع غير ميسور ، والشاعر يبدأ حياتـه سائس خيل عند باب المسرح ، ثم يدخل المسرح ممثلا ، ثم يكون مؤلفاً مسرحياً يصور حياة الملوك والامراء وهو من القصور بعيد ، وقـد مثل لنا ما لم يشهد من الحيـاة الايطالية والايطاليين القدامى . وكتب عن الاغريق والرومان ، فكان اعجوبة الدهر فيما كتب وفيما صور .

وهذا « تولستوي » يبدع في وصف حياة الفقراء والمساكين في كثير من تواليفه ، وهو يومئذ من اهل الغنى والثراء .

وهنالك كتاب فنانون استغرقتهم حياة سادرة تنافي العرف الاخلاقي . ولكنهم اجادوا فيما كتبوا عن حياة الفضيلة والطهر . فهذه « جورج صاند » وهي من عليـة الكتاب الفرنسيين في القرن التاسع عشر. ظلت تتنقل بين احضان عشاقها من كتّاب وفنانين ، تبيح لنفسها من الحرية ما لا يباح حتى كانت تتخذ في لبوسها زي الرجال . ولقد ألفت كتابها « مستنقع الشيطان » تصف فيه الفضائل من عفـة وصون ووقار ، وتصور طهارة القلوب في جوانب الريف ، وتنعي عـلى حياة التهتك والغواية تلك الحياة التي كانت تمارسها هي في دنيا الناس ... وما كانت لتجيد الوصف وتحسن التصوير لولا حنينهـا الى الفضيلة التي اعوزتها ولولا رغبتها الكامنة في ان تمارس الحياة التي حرمتها .

وها هو ذا « روبنز » المصور الهولندي كان من الساسة الأثرياء المترفين تبوأ المناصب السامية في البـلاط الاسباني ، ولكنه كان بجانب ذلك مصوراً اشتهر بنزعته الصوفية الدينية واكثر الواحه تمثل مشاهد القديسين والقديسات وله روائـع الواح يصور فيها حياة البؤس والحرمان ويعبر فيها عن مشاعر الشعب واحلامه وامانيه ...

وكان « اندريه جيد » يجنح في عقيدته الى الالحاد ، بل انه لمغرق في الحاده وهو على الرغم من ذلك يتميز في كتاباته بصوفية دينية سمحة ، وإشراق روحاني عجيب .

وقد كتب « تشارلس ديكنز » عن حياة الطفولة المشردة . فأحسن فيما كتب . لأنه عاش هذه الحياة . وكتب كذلك عن السعادة الزوجية فأحسن فيها إحسانه في وصف حياة الفاقة والتشريد ولم يستوح حديثه عن السعاد الزوجيـة من بيته فقد كان أتعس زوج على ظهر الأرض . وانما بعثته الرغبة في ان يستكمل النقص فعاش في قصصه يتخيل ما ضنت به الحياة عليه من سعادة الأزواج .

وكتب « دستوفسكي » يحلل نفسية « المقـامر » فأجاد التحليل ، لأنه كان من اللاعبين بالميسر . وكتب كذلك يحلل نفسية المجـرم وما يعتلج في نفسه من ندم ولم يكن الكاتب الروسي في حياته من الجناة الآثمين .

وإني أسوق هنا حديث اثنين من أعلام الموسيقى . احدهما

روسي هو « تشايكوفسكي » والآخر بولندي هو « شوبان » كلاهما مخنث . الأول كان يخجله تخنثه وتقضه طبيعته النسوية فتحيل حياته جحيماً ، من اللوعـة والألم . ومن ثم اتصفت موسيقاه بالقوة والعنف ، فعبر بذلك عما كان يعوزه من رجولة وفحولة . وأما الآخر فكان إلى تخنثه ينهكه مرض الرئة فانسابت موسيقاه رقيقة ناعمة تمثل لطف المنزع وعذوبة الروح ، وكأنها صورة صادقة لطبيعته الهينـة اللينـة وشخصيته الرخوة الساكنة .

وفيما قرأت من بدائع القصص الأمريكي أقصوصة يصف فيها كاتبها الفترة التي تمر بالمشنوق بين بداءة الشنق وسكتة الموت وهي لحظات الاحتضار . وقد جاء وصف الكاتب رائعاً يتجلى فيه احساس غريب بحالة المشنوق في هذه الفـترة المرهوبة . وليس للقصة موضوع إلا تلك اللحظات الخواطف وهي أشبه بما نجده في عالم الرؤى ، إذ تتوالى علينا أطياف الأحداث تستغرق الشهور والسنين ، حافلة بكل عجيب وهي حـلم دقائق معدودات من حساب الزمن ... وما كنا لنظفر من الكاتب بهذا الوصف الرائع لو أنه كان قد شنق حقا وأحس حقاً بحالة المشنوق .

وأذكر أن الكاتب صور اللحظة التي يتم فيها انفصال العمود الفقري عن الجمجمة بأن المشنوق يشعر كأن قنبلة انفجرت شديدة السطوع قوية الدوي ... وليس يعنينا أيطابق هـذا الوصف حقيقة الشعور أو لا يطابقه . وإنما يعنينا ان الكاتب يجلو علينا صورة رائعة من شعور انساني توهمنا انها هي الحقيقة في تلك الفترة الحاسمة من حياة انسان .

*

إننا حين نادي بأن الحديث عن لون من الحياة مقصور على من يزاول هذا اللون ، فكاننا نادي بأن الأعمال الفنية يجب أن تكون تراجم شخصيـة أو شبه تراجم ... وفي هذا حبس للفنان في دائرة ضيقة ، فهو لا ينطلق من عاله ، ولا يحلق بأخيلته ولا تكون له حرية التمثل والتصور والاكتناه .

ولعلي لا اكون مسرفاً في القول إذا زعمت بأن الفنانين الذين لا يجيدون إلا ان يبسطوا تجاربهم ويعبروا عن حيويتهم هم في الحقيقة فنانون محدودو المجال ، منقوصو الخيال ، لا تخف بهم عبقرية الادراك والتصور ، الى ما وراء الحدود المحيطة بهم فهم بين عباقرة السعة والشمول والتعمق أقزام بين العماليق .

*

الحق أن العبقرية لا تدع للفنان حداً يقف عنده . لقد صور الفنان حياته فجود ، وصور حياة لا عهد له بهـا فما أكدى ، وجمع في فنه بين ما يعهد وما لا يعهد فما قصر في هـذا ولا في ذلك عن المدى .

لقد مثل الفنان ما شهد وما لم يشهد، وعبر عمن خالط ومن لم يخالط ، وجلا ما أحس وما لم يحس ، وتناول الحيـاة وما وراء الحياة ...

لم يعي بتصوير الحاضر ولم يقصر في إحيـاء الماضي بل لم يضجره ان يستشف الغد الجنين ، بل لقد عرج الى طباق السماء يتبين ما فيها من غيب مكنون ...

إنه دائب يحـد بصره ، ويذكي بصيرته ، ويطلق مخيلته يكشف عن الطبيعـة أستارها ، ويستل من الحياة أسرارها ويستجلي من اوضاع المجتمع في هـذا الكون العريض كل جليل ودقيق .

*

أكذب شيء في الفن هو التحديد ...

ولا أوهى من تلك القواعد التي تقام صلبة جامدة ، لا تلائم طبائع الحياة والأحياء ...

وان النفس الانسانية، وبخاصة تلك النفس التي تلهبها جذوة الفن المقدسة ، لتكتنفها الطلاسم والالغاز . فتروعنا بعجائب المفارقات فيما يصدر عنها من آيات فنية مختلفة الألوان .

فما اكثر البواعث والدوافع ، وما أشد الحوايا والعقد في بطائن الضمير ، وما اعصاها عـلى التحليل والتخريج والتأويل وهي في تشابكها وتداخلها تأبى أن تنقاد للحدود والقيود .

ولباب الرأي أنه لاحجر على العقول والأذهان ، ولاقانون للميول والاتجاهات وفي « صندوق الدنيـا » متسع لأشتات المنازع الحافلة بالنقائض والأضداد .

وليس من ضير في أن يكون لذلك كله متنفس في هـذا الوجود ولا مانع من ان يكون له نصيبه من الصدق والحق ما دام الفنان بين واقعه وإلهامه مرهف الحس ، قوي المخيلة ، موفور المرهبة يستطيع أن يتصيد حقائق الحيـاة وبواطن النفوس وأن يبرزها في صور من التعبير الفني الرفيع .

القاهرة — محمود تيمور

شجرة العيد

بقلم عيسى الناعوري

قصة

الساعة العاشرة ليلاً ، وقد عدت من عملي في الصحيفة التي أعمل فيها محرراً مساعداً .

أنا وحدي وراء طاولتي ، ومن فوقي وعلى جوانبي تتهدل أغصان شجرة الميلاد التي نصبتُها بعد ظهر اليوم ليفرح بها اولادي ، ويشعروا بجمال العيد . ومع الاغصان تتهدل الهدايا الملونة والشموع والعصافير الزجاجية . وقد تعمدتُ ان اجعلها الى جانب طاولتي لكي أسمر اليها ما أشاء .

لقد نصبتُها بعد ظهر هذا اليوم ، لان العيد سيكون غداً ، وقد عوّدتُ اطفالي منذ ثلاثة عشر عاماً أن أنصب لهم شجرة العيد كل عام ليفرحوا بها ، وان املأ لهم أغصانها بالهدايا واللعب الجميلة التي تُدخل البهجة الى قلوبهم الطفلة . وكنتُ احبّ أن اعود اليهم في المساء الباكر لأسهر معهم سهرة العيد : اجمعهم حولي ، وأفرح بهم ، ويفرحون بي ؛ فليس أحبّ اليّ من ان أُشعِر أبنائي ببهجة العيد، وجمال العيد ؛ اريد لهم أن لايشعروا بوحشة الحياة التي طالما شعر بها قلبي .

ولكن عملي في الصحيفة اقتضاني أن أسهر في المكتب الى الساعة التاسعة ، ثم اعود وقد نام اطفالي جميعهم .

وها أنا أجلس وحدي ؛ لا أحد من اطفالي حولي ! كلهم نيام يترقبون أن يزورهم (سانتاكلوز) في أحلامهم ليقدم اليهم الهدايا كعادته . لقد اعتادوا أن يملأ لهم جواربهم كل عام بالهدايا، من الكستناء والتفاح والموز والتشوكولاته والتوفي وغيرها ؛ والى جانبها الدمى الصغيرة من السيارات والزوامير والطيارات وما إليها. انه لا يفارق أحلامهم في مثل هذه الليلة من كل عام . وهم لذلك يستيقظون من منتصف الليل يفتشون في احذيتهم عن الهدايا التي وضعها لهم فيها جدهم الجميل سانتاكلوز ، ويملأ صياحهم البيت الى الصباح .

أما أنا فها أنا أجلس وحدي، أستعرض حياتي خطوة خطوة، منذ أن كنت طفلاً .

ها أنا في القرية ، طفلٌ حافي القدمين في الغالب ، ألبس ثوبا لا سراويل تحته . علی رأسي خرقة ألفّها حول عنقي يسمونها في القرية (قضاضه) ، لا عقال عليها ، ولا على جسدي ملابس ذات بال . طفلٌ كبقية أطفال القرية الاردنية ؛ فقير ، لا يجود عليه اهله ولا أحد من أقاربه بشيء : بقرش أو بهدية ، لا في الاعياد ولا في الايام العادية الاخرى . لا يعرف الدلال ولا رخاء الحياة . كل شيء لديه غريب : بساطة مطلقة ، وبلاهة مطلقة في الوقت نفسه .

حتى الحذاء القروي (الوَطى) الخشن ، اذا كان جديداً ، فهو شيء عظيم ، استحق ان اطوف به القرية كلها لأعرضه على اهلها بزهو وكبرياء ؛ أعرضه على الاقران والاتراب ، إذ قد يكون بينهم — في الغالب — من لا يملك مثله ، ولا يتاح له ان يملك مثله طول عمره .

وبلغتُ الحادية عشرة من العمر ، لا أعرف ما يسميه الناس سعادة الحياة ؛ فطفولتي شقاء كلها ، وخشونة كلها ، وغباوة كلها ، وخوف وخنوع كلها ، لأن هذه طبيعة الطفل في القرية الاردنية .

شاء والدي بعد ذلك ان يتخلص مني ومن نفقاتي ، فتوسط له أحد الكهنة الذين يعرفونه ، وأدخلني في المدرسة الاكليريكية لأتخرج كاهناً .

هكذا يريد والدي ، لا لايمانه بأن الكهنوت وظيفة انسانية نافعة ، ولكن لأيمانه بأنها « وظيفة » وكفى ... ومن هذه الوظيفة سأتمكن من الحصول على راتب ، بعد عشر سنوات، مهما يكن ضئيلاً ، فانه سيسمح لي بأن أساعده ببعض المال في شيخوخته ؛ وهي وسيلة اكثر ضمانا من أية وسيلة اخرى — كذلك قال لي وهو يحدثني بقرب ذهابي الى المدرسة الاكليريكية في القدس لأدرس فيها ، وأصبح كاهناً في المستقبل .

قال لي انه سيكون لي راتب شهري معيّن ، لن يقلّ عن سبعة جنيهات، وسيكون لي الى جانبه اجور قداديس وعماميد وجنانيز وأكاليل ... ومن هذا المجموع كله سيتاح لي أن أعيش ، وان اساعده ليعيش هو ايضا مثلي بقية ايامه .

ودخلت الاكليريكية في القدس عام ١٩٢٩ ، ثم خرجت منها بعد اربع سنوات يافعاً ، اعمى القلب والعقل والضمير ، لا اصلح لحياة المجتمع ، ولا تصلح لي حياة المجتمع . ولكنني

بعد جهاد شقي يائس غير قليل عرفت كيف اتغلب على شقاوة الحياة ، واصبح واقعياً مثلها ومثل اهلها . لقد جاهدت طويلاً، وجاهدت ببطولة بائسة .

كنت فتى يافعاً ، لا مال ، ولا سند ، ولا كفاية من العلم، ولا شيء مما يؤهل مثلي للنجاح في الحياة . ومع ذلك غامرت ، ورضيت بأسوأ الحظوظ من العيش : عملت خادماً ، وعملت بائعاً متجولاً ، عملت كل عمل حقير يخجل منه الفتيان المثقفون ، لانني لم اكن املك غير هذا ، ولم يكن لي من الثقافة المدرسية والشهادات ما يتيح لي ان ادخل الحياة من ابوابها الواسعة .

وكانت رواتبي ضئيلة جداً ، أضأل مما يمكن ان يتصوره اي انسان ، ولكنها كانت كافية لكي احرم نفسي من كل لذة في الحياة ، لأشتري بها كتباً ومجلات . كنت اطالع كثيراً ، كثيراً جداً ، لانني آليت ان ادخل الحياة من بابها الواسع الصحيح : باب الفكر والثقافة .

هل طالت حياتي البائسة هذه أم قصرت ؟

الذين يعرفون هذا قليلون ، ولكنني اعرفه اكثر مما يعرفه اي انسان آخر . لقد شقيت طويلاً ، وكنت بلا مال ، وبلا سند في حياة البؤس هذه : احمل اللحوم المشوية على رأسي في صندوق محاط بالزجاج ، وأنادي عليها من شارع الى آخر ، ولم اكن اتجاوز الخامسة عشرة من عمري اذ ذاك . وقضيت كذلك نحو العام .

ثم تركت هذا العمل ، وعملت خادما في مطبخ للجنود البريطانيين ... كنت أغسل الصحون وأمسح الأرض وارتب السُرُر . ثم ارتقيت في العمل ، فأصبحت خادماً للمائدة ... ثم ارتقيت فأصبحت طاهياً ... وتنقلت في هذه الاعمال من مطبخ الى آخر ، ولكنني لم أفارق الكتب قط . لقد كانت اوقات فراغي كلها للمطالعة ، وكنت مطالعاً من طراز فذ ، كان الكتاب هو تعزيتي الوحيدة في الحياة .

كنت أشعر بأنني إنسان دون الناس ، ولكنني كنت أختار لمرافقة فكري أرقى الناس . ولم تذهب هذه الرفقة عبثاً ، فما كاد يمضي عليّ ثلاثة أعوام في عملي في المطابخ ، حتى وجدت الفرصة السانحة لأقفز من المطبخ الى المدرسة .

كان ذلك عام ١٩٣٨ ، وكانت احدى المدارس الطائفية في حاجة الى معلم للصفين التحضيري والاول الابتدائي ، وكان لي في المدرسة صديق وزميل سابق في المدرسة الاكليريكية ، وكان يعرف انني لا أعجز عن التدريس في هذين الصفين الصغيرين على الأقل ، وأنني اتقن اللغة الايطالية لغة المدرسة والرئيس ، فاستدعاني وقدّمني الى الرئيس بعد أن اشترط علي أن ادفع له اكرامية لتوسطه لي ، لا تقل عن جنيه ونصف ، اقسّطها على شهرين من راتب المدرسة .

لن أنسى هذا مطلقا ، فقد كنتُ في أشدّ الحاجة الى المساعدة ، ولكن صديقي اشترط عليّ دفع الاكرامية ، فقبلتُ مكرهاً ، لأنني أردت أن اترك حياة المطابخ القذرة ، وأتصل بحياة الفكر ، ولو من ابسط طرقها .

هل يذكر ذلك الانسان — وهو الآن تاجر ناجح في سان فرنسيسكو في اميركا — أنني لا أزال أذكر ذلك المبلغ الصغير الذي دفعته له على قسطين ؟ أذكره بملء الاحتقار ، لأنه استغل حاجتي الى الوظيفة ، فأرغمني على دفع هذا المبلغ له، وأنا أحوج ما اكون اليه !!

ومنذ ذلك الحين أصبحت أعمل عملاً محترماً، ولكن براتب غير محترم ، وأصبحت أستطيع أن اتصل بالناس المحترمين ، واتعرف اليهم ، فلا يجدون غضاضة في أن يعرفوا أنني معلم في احدى المدارس ، وأنني مسؤول عن تربية الاجيال الطالعة وتوجيهها في الحياة .

وأود ان أقف هنا قليلاً ، لأقول لأولياء الطلبة الاطفال الذين كانوا يكلون اليّ بأطفالهم ، أن لا يندموا ، فقد كنت دائماً معلماً مخلصاً ، ومربياً مخلصاً ، ووطنياً مخلصاً . فليطمئنوا الى أن عملي في تعليم اولادهم كان دائماً عملاً مخلصا كل الاخلاص

وتوالت السنون ، وتزوجت . لقد كنت دائما محروما من كل لذة ومن كل معنى من معاني السعادة في الحياة . وظننتُ ان الزواج هو فرصتي الوحيدة للسعادة . ذلك لأنني لم أكن من الشبان الذين يعرفون كيف يتمتعون بحياتهم مع الفتيات الحسان . كنت خجولاً ، وكانت لي امنية وهي أن استقرّ في بيت ، وأن اؤلف اسرة ، مهما تكن صغيرة. وهكذا تزوجت وألّفت الاسرة الصغيرة التي اريدها .

تزوجت في القدس ، وانتقلت الى رام الله حيث قضيت

عامين ونصف العام في مهنة التدريس . ثم وقعت الحرب العالمية الثانية ، فانتقلت الى الرملة أعمل خازنا في معسكر الطيران البريطاني في (عاقر) ، ثم مديراً لمخزن الطيران في (غزة)جرياً وراء الراتب الكبير المغري . وقضيت في هذا العمل سنتين ، ثم . . .

ثم رأيتني احنّ الى حياة التدريس من جديد ... لقد كان كل ما حولي لصوصية مقرفة . كان الجميع يسرقون من المخازن ومن معسكرات الجيش ، ويعتقدون أنهم يعملون بذلك خيراً لأنفسهم وللبلاد . ولكنني لم أخلق لأكون لصاً ، لذلك جعلت أسعى للعودة الى المدارس ، حتى تخلصتُ اخيراً من ادارة مخازن الجيش البريطاني ، وعدت معلما .

كان ذلك عام ١٩٤٤ حين عدت من غزة الى القدس ، أعمل معلماً . وكان قد ولد لي ولد واحد . لقد تخلصت نهائياً من أعمال الجيش البريطاني ، وتخلصت بضمير نظيف لم تفسده المغريات ولم يألف اللصوصية . وهـا أنا اعود من جديد الى التدريس ، وأتولى تدريس الصفوف الابتدائية العليا في مدرسة محترمة واسعة الشهرة في القدس .

ثم وقعت النكبة ، وانتقلت بأسرتي الى الاردن ، وكانت اسرتي إذ ذاك قد كبرت واصبح لي ثلاثة أطفال . واستمرّ عملي في محيط التدريس . ثم اتسع نشاطي مع الأيام فشمل الصحافة الى جانب التدريس ، فأنا مرة مراسل لعشرات الصحف ، وتارة صاحب مجلة تصل اعدادها الى جميع انحاء العالم ، وحيناً محرر مساعد في صحيفة اسبوعية . وهكذا .

لقد استقرت حياتي ، واستقرّ عملي نهائيا ، وكثر مع الايام اولادي حتى صار لي منهم خمسة ، وكبرت اسرتي ، هذه الاسرة التي أعيش الآن بها ولها وحدها .

كان زواجي عام ١٩٣٩ ، وبقيت وزوجتي بدون اولاد حتى عام ١٩٤٣ ، ولكننا منذ زواجنا جعلنا نهتم باقامة شجرة الميلاد في موعدها من كل عام .

قلت لزوجتي في العام الاول لزواجنا : سأصنع هذه الشجرة لأجلك الى ان يكون لنا أطفال . ونفذت ذلك بالفعل . ولكننا لم نشعر مرة واحدة بجمال شجرة الميلاد وبهجتها الى ان جاءنا الطفل الاول بعد اربعة اعوام من زواجنا .

لقد اردت ان احقق لاطفالي ما لم يحققه لي والدي من متع الحياة ومباهجها . وهذه شجرة العيد احدى المباهج الصبيانية التي كانت تنقص طفولتي ، وانا اكررها لأطفالي كل عام منذ زواجي في عام ١٩٣٩ الى اليوم . واطفالي يفرحون بها ، كما يفرحون بالجوارب الملأى بالحلوى التي يقدمها لهم شيخ العيد (سانتاكلوز) ، فهم يؤمنون بأن هذا الشيخ الرمزي انسان حقيقي ، يزور الاطفال في ليلة عيد الميلاد ليضع لهم الهدايا والمآكل الجميلة في جواربهم وهم نيام .

وهكذا تحققت لي بعض السعادة بسذاجة اطفالي ، بعد ان حرمت منها بنفسي طويلاً . وهل اطفالنا الا نحن مكرّرين ؟!

عمان   عيسى الناعوري

سهرات ريفية

ما امتع السهرات في ريفنا	والنار في كانوننا شاديه
والقهوة الشقراء فوّاحةٌ	تغلي على جمارهـا نازيه
والكستنات السمر قد فتّقت	قشورها عن لبّها باكيه
والدفء في اجسادنا نعمةٌ	مسبوغةٌ أشهى من العافيَه !

★

ما اروع الريح كجنّيةٍ	تنوح في ودياننا النائيه
والبرَدُ الملهوف تهوي على	شباكنا حبّاته الهاميه
رتيبةَ الايقاع ، ألحانها	قصيدةٌ منغومةُ القافيه
تقطّر الالحان إغفاءةً	مخمورةً في الاعين الساهيه !

★

ما اجمل السهرات في قبونا	وجارتي المغناجة اللاهيه
ولعبة الاغماض في دارنا	والمخبأ المعهود في الزاويه
واعمق الاسمار في ليلةٍ	رعودها قصّافة داويه
وبرقها كومضةٍ من رجا	في ليل نفسٍ بالاسى داجيه !

★

عودي ليالي الريف يا نعمةً	لما تزل في مسمعي باقيه

فنزويلا

فؤاد الحشن
من اسرة الجبل الملهم

ابو العلاء المعري ومشكلة الزمان

بقلم ابراهيم شكر الله

٢

الحركة العقلية في الاسلام

في قومة الاسلام كان التنادي بالصحو والعقل . فلما ولي العرب امر الناس ، وارتفعت بنودهم على ذرى العالم تحمل رمزي السيف والقرآن – الحكم والشريعة – اصبح العقل هو الحكم الاول والمرجع الاكبر لا يرتفع فوقه سوى اسوار الشريعة المانعة التي ضربت حول النفس البشرية تردها عن الوثبة الجامحة ، وتحبس عنها الرؤى المؤرقة ، وتدفعها دفعاً الى حياة مُيسّرة ، شرعت كل تفاصيلها ، واستقرت اجزاؤها ، وجعل فيها لكل شيء مكانه الثابت الذي لا يتغير في نطاق نسق كلي، ونظام كوني شامل .

وهكذا نمت الحركة العقلية في نطاق القرآن والشريعة ، وفتح مجال الاجتهاد على مصراعيه على ان لا يقتحم المجتهد ما اغلق دونه من ابواب .

وقامت دولة الحكم والفتح في دمشق لا تستجيب ولاتثير غير الشعر السياسي المتنادي بالعصبية والمجد وجلال الانتصار . وانكسرت دوحة الشعر الجاهلي في بكائه النوستالجي على الاطلال ومشاركته احتفال الطبيعة، وفورة الوجود في جميع صوره الحية وغير الحية .

في ظلال هذا الصحو تألقت الحركة العقلية، وقام الكلاميون يفسرون الوحي والشريعة في ضوء احكام العقل ومنطقه. وجاء الارسطوطاليون من بعدهم بزاد جديد من الفلسفة والعلم اشتدت له وهجة العقل وسطوة الحركة العقلية .

فبعد ان كان العقل لا يتحرك الا فيما جعل له من حدود واقيم له من اركان ، لم يعد يخشى بعد ان يتحرك وحيداً دون سند من عقيدة او قوام من ايمان . فأشاع الشك وزعزع اركان اليقين . وذهب بعض المعتزلة في تغليب المذهب العقلي الى القول بان « الشرط الاول للمعرفة هوالشك » وان « خمسين شكاً خير من يقين واحد ». وروى عنهم الجاحظ هذه الابيات:

لله در العقل من رائد — وصاحب في العسر واليسر
وحاكم يقضي على غائب — قضية الشاهد للأمر
وان شيئاً بعض فعاله — ان يفصل الخير من الشر
بذي (لذو) قوى قد خصه ربه — بخالص التقدير والطهر

وهذه العقلية تبلغ غاية تعبيرها الفني عند ابي العلاء . فهي الصفة الغالبة على شعره . بل هي الصفة التي تظل قائمة في الحاح ، ولو اندثرت الصفات جميعاً ، وحال لونها وتهاوت قيمها .

هي هذه العقلية المنطقية الصارمة. الايمان بالعقل الذي فصل عن الحياة الدافقة ، المتحركة بالاضداد، ورفع على قاعدة رخامية ناصعة : وثناً للتناسق والمنطق المضطرد ، والنور الوهاج الذي تختفي فيه الظلال والاطياف ورقيق الألوان .

وهذه العقلية لا يظهر اثرها في الافكار التي تشيع في ثنايا شعر المعري فحسب ، بل كذلك في صياغته ، وفي اسلوبه وديباجته الشعرية .

فيقول :

يرتجي الناس ان يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء
فاذا اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
انما هذه المذاهب اسباب لجذب الدنيا الى الرؤساء

كما يقول :

جاءت احاديث وان صحت فانلها — شأناً ولكن فيها ضعف اسناد
فشاور العقل واترك غيره هدراً — فالعقل خير مشير ضمه النادي

وكذلك :

والفكر حبل متى تمسك على طرف — منه ينط بالثريا ذلك الطرف
والعقل كالبحر ما غيضت غواربه — شيئاً ومنه بنو الايام تغترف

على ان يقين العقل هو الشك :

طلبنا يقيناً من جهينة عنهم ولم تخبرني يا جهيني سوى ظني
فان تعهديني لا ازال مسائلا فاني لم اعط الصحيح فأستغني

لقد خمد في المعري صوت الحس ، نضبت ينابيع العاطفة الانسانية الجياشة ، ضمرت الروح ، وظلت جذوة العقل قائمة لا يستبين فيها غير الوجود المفرد المنعزل « للأنا » .

لقد انفصل المعري — في المحابس التي فرضها على نفسه — عن جسد البشرية الحي ، وتقطعت الجذور التي تصله بالناس وبالطبيعة وبالوجود الالهي المحيط وبقيت له جيفة العقل يدير في تلافيفه المعاني الفلسفية فيحس لها — لعدم التقائها بانسجة الحياة — ما يشبه الحفيف وصوت تنقل خطى العدم ، فترتد فائحة بنتن الموت ، مخضبة بصور الفناء وبطلان كل شيء .

لقد نضّى هذا العقل الثلجي عن الدراما البشرية كل معانيها الروحية ، سلب منها اللون والدم الفائر ، وما يشرق في جنباتها من ومضات الروح . سلب منها الحركة الجياشة ، ولم يترك لها غير حركة مضطردة ساعية في الزمان . حركة في خط واحد . في ايقاعية رتيبة . من نقطة بدء الى نقطة نهاية . حركة تسعى بالفناء والموت والنهاية الكارثية للكون كله .

كان زمن القدماء يدور في مثل دورة الفلك فيلتقي طرفاه في دائرة حافلة يستحيل فيها الفناء ديمومة ، والموت ابدية تنطوي على مغزى الوجود ، وتتأجج بالدراما الكونية وما يصطرع فيها من قوى الخير والشر .

ونحت اليونان روعة اللحظة الراهنة وعمقها في الحجر والرخام الاثيل صوراً للحاضر الذي لايذوي ولاينثني ولايعتريه الذبول .

اما هنا في شعر المعري فنرى مأساة الفرد — كما رأينا مأساة العنصر في الفكر اليهودي — الفرد المندفع في تيار الزمن ، في درامة الهلاك حيث لا فرار ولا خلاص ولا معنى او شبه معنى .

الزمان عند المعري

فالزمان عند المعري خط مستقيم انطلق من نقطة فريدة في الازل الاول ثم سار بالفناء :

خط استواء بدا من نقطة عجب أفنت خطوطاً وأقلاماً وكتابا

وهو سير مضطرد لا ينحسر ولا ينتكس ولا يتباطأ بل يجرف في طريقه البشرية بل الكون كله — بما في هذا الزمان نفسه — نحو الفناء :

ألم تريا ان سلك الزمان افنى السليك وافنى السلك

ولا فكاك للانسان من اسر الزمان :

وما الانسان في التطواف الا اسير الزمان فهل يفك

بل ان سطوة الزمان لا تدانيها سطوة فهو محيط بالوجود كله وشباكه قد اغلقت على جبْريل بل على ذات الله :

ولو طار جبريل بقية عمره عن الدهر مااسطاع الخروج من الدهر

وكذلك :

قلتم لنا خالق حكيم قلنا صدقتم كذا نقول
زعمتموه بلا مكان ولا زمان الا فقولوا
هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

وحركة الزمان عند المعري حركة منتظمة رتيبة :

الدهر يصمت وهو ابلغ ناطق من موجز ندس ومن ثرثار
يمشي على قدمين من ظلمائه ونهاره ما همنا بشار

وقد تتدافع خطوات الزمان فينطلق مثل النجائب ، او كالخيل ادمى اللجام نواجذها في عدو سريع :

ساعاتنا تحت النفوس نجائب وخدت بهن بعيدة الإطلاق

وكذلك :

كخيل صيام تألك الدهر لجما بغيظ فقد ادمى نواجذها الألك

وكذلك :

ارانا على الساعات فرسان غارة وهن يجرين جري السلاهب

وسواء أتراكضت الساعات ام مشت على بطء فان الايقاع الزمني — على العموم — بطيء فيقول :

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى فليلتي القصوى ثلاث ليال

فهذه الليلة المثلثة ، ثم هذه التفاعيل الطويلة التي يستخدمها لتعميق معنى الطول المقترن بالحركة البطيئة تفصح عن معنى المأساة عند المعري .

لقد القت التجارب التي قامت بها مدرسة الجشتالت السيكولوجية في ميدان المدركات ضوءاً كاشفاً على العلاقة بين ادراك الحركة وبين السرعة التي تتابع بها الصور على الجهاز العصبي . ودون الافاضة في هذه التجارب يمكن القول ان

نتيجتها أتت بحيث تثبت ان الحركة تنتفي اذا سار تتابع الصور على العين في سرعة تتجاوز حداً معينـــاً من البطء او التعجل . فدرجة السرعة هي في الواقع التي تشيع المعنى في الحركة او تسلبه منها . وهذا ما يمكن ان يقال ايضاً – دون تعسف – في ايقاعية المعري البطيئة المسلوبة المعنى . ولبريستلي – الروائي والمسرحي الانجليزي – حلم في هذا المعنى لعله ان يقرب الفكرة التي اريد الدلالة عليها . يذكر برستلي انه – اثر فراغه من سلسلة المسرحيات التي عالج فيها الزمن في المفهوم الذي دعا اليه الرياضي الانجليزي ج . ب . دن [1] وهو الزمن الذي يعود على نفسه في دورات تتكرر فيهـــا نفس القصص والمواقف الانسانية تكراراً دائباً لا ينتهي – اثر فراغه من هذه المسرحيات حلم بريستلي بالزمن يسير وتتحرك معه اجيال الخليقة في دورة من الولادة والموت ، ثم الولادة والمـــوت وهكذا دون هدف او معنى وفي تكرار ممض خانق للروح . ولكنه لم يلبث ان رأى هذا السير الزمني يتدافع ويتراكض

(1) *Dunne: An Experiment with Time*

ورأى دورة الحياة تزداد سرعة وعنفاً وتظل تزداد سرعة وعنفاً حتى تندمج صور الخليقة المتتابعة في بعضها ولا يبقى غير صورة واحدة لجذوة الحياة نفسها وهي تتوهج منتقلة من جيل الى جيل وفي كل انتقالة تزداد توهجاً ومضاء . عند ذاك أشرقت روح بريستلي بالعلم الالهي وأشع وجوده باحساس متأصل بأن هدف الحياة هو الحياة نفسها ، هو الانتصار على ظلمة العدم ، هو وهجة الوجود وفرحته .

وزمن المعري – بالاضافة الى بطء ايقاعه – يتتابع تتابعا رتيبا منتظماً لا يحدث فيه توتر ولا تأزم ولا انفراج للأزمة ، كما هو شأن حركة الزمن الذاتي التي رأينا تبلورهـا في زمن القدماء والتي تتمثل دائبًا في الحركة الزمنية في الادب والفن . فالايقاع الزمني في العمل الفني لا يسير في خطى منتظمة وانما يختلف بين السرعة والبطء بما يشيع جو الدرامـــا والحركة البشرية ويحدث التوتر اللازم لجلاء الاثر الفني . ومثـال هذا قصيدة مارفل « الى معشوقته المدللة [1] » التي يعالج فيها ايضاً سير الزمن .

يقول مارفل :

لو اعطينا عالماً اوسع وزماناً أطول
هذا الدلال يا مولاتي لم يكن زرياً
لكنت اذ ذاك
تعشقتك عشر سنين قبل الفيضان
وكنت – اذا شئت – تمتنعين عني
حتى عودة اليهود من الشتات
ولظل حبي النباتي ينمو
ارحب من الامبراطوريات واشد بطئاً

وهنا نلاحظ السرعة الفائقة والتتابع المركز للصور « الفيضان » ، « عودة اليهود من الشتات » ، وصورة الحب ينمو وئيداً مثل النبات ، وشاسعاً كالامبراطوريات . وكل صورة منها تضخم الفكرة الرئيسية . فاذا بلغ مارفل قمة هذه الصور وجلاها جلاءً باهراً يتحول فجأة في دهشة كانت وظلت منذ عهد هومر وهي اشد المؤثرات الشعرية وقعاً :

ولكني اسمع من خلف ظهري
عربة الزمان المجنحة تتراكض سعياً
ومن امامنا جميعاً تنبسط هناك
صحارى من ابديات شاسعة .

(1) *Andrew Marvell: To his Coy Mistress*

ثم يهدأ مارفل ويقول في نغم حزين :

عند ذاك تنتهك الديدان
هذه البكارة التي عوفيت طويلا
ان القبر مكان فيه الراحة والعزلة
ولكن ظني ان المحبين فيه لا يتعانقون

ثم الخاتمة حيث يرتفع الصوت هادراً قوياً يحمل حكمة الحياة وهزيمة صوت الموت :

فلنصب جميع قوانا وما فينا من عذوبة
كرة واحدة
وندفع بملذاتنا في كفاح عنيف
داخل البوابات الحديدية للحياة .

هذا الزمن الذي يدفع لانتهاب الحياة يرتبط ارتباطاً سببياً اصيلاً بهذه الحركة الدرامية التي تشيع في ثنايا القصيدة ، كما ان زمان المعري الذي يدفع الى قبول المحابس ويتعجل التدثر بالاكفان وسط خضم الحياة مرتبط كذلك بهذه الحركة الرتيبة وبالايقاع الزمني المتساوي الاجزاء المنفصل الآنات الذي هو اشبه الاشياء بالزمن الرياضي الجامد . فكلاهما لم يختلط بالنفس البشرية التي تحدث التوتر مُكثّفة بعض اجزاء الزمن باسطة اجزاءه الاخرى — وانما صدرا عن تجريدات العقل .

وهكذا فبينما يصنع زمن المعري الحوادث فأنه في الواقع لا يأتي بجديد بل بتكرار ممل أجوف للآنات القديمة المتساوية في الحجم والكيف .

وهكذا بينما :

آناء ليلك والنهار كلاهما — مثل الاناء من الحوادث مفعم

فليس في الايام جديد :

افهم عن الايام فهي نواطق — ما زال يضرب صرفها الامثالا
لم يمض في دنياك امر معجب — الا أرتك لما مضى تمثالا

وكذلك :

ابكار هذي المعاني ثيبات حبا — في كل عصر لها جان ومفترع

ولكن اذا تشابهت الآنات فهناك — كما شاهدنا في الزمان المجوسي — تحول في الثقل في الآن الحاضر الى الآن الماضي . فالدهر قد شاخ واستبد به الكبر وحل به الوهن والخوف :

تمتع ابكار الزمان بأيده — وجئنا بوهن بعد ما خرف الدهر

وكذلك :

وقد شرب الدهر صفو الانام — فلم يبق في الارض الا العكر

الاديب

★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : جنيه ونصف أو ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً او ٦٠ دولار كحد اعلى

★

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٩٢/٤٧ — Direct : 92 - 47 — Tél.
المنزل ٤٨/٣٧ — Dcle, : 48 - 37

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : ألبير أديب
سكرتير تحرير مكتب القاهرة : محمد يوسف نجم

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت — لبنان

على انه لا سبيل الى الكشف عن هذا الذي كان ينطوي عليه أول الزمان – بل لا سبيل الى الكشف عن شيء اطلاقاً طالما لا يزال هذا السيل الزمني العرم متدفقاً سيالاً :

هو الدهر يفني ونفني على وتاها وكون مناها عمر
وكم فيك يا بحر من لؤلؤ ولكن لجسك لا ينحسر

ومنطق المعري في تصور الزمن وقد بدأ في نقطة محدودة وسار في خط مستقيم مضطرد يستلزم تصوراً للنهاية ، نهاية كل شيء . انقطاع خيط الزمن . وانطفاء افلاكه ، وتفرق شهبه في غياهب العدم . والمعري على وجدان متأجج بهذه النهاية الكارثية التي بها يختفي الوجود جميعه ويتبدد الاثم الذي ولد بمولد الزمن وانبثاقة الحياة . فيقول :

ان الساكين لا يخلدان ويهلك ذو الرمح والاعزل

وكذلك :

ما احسب الكوكب المريخ او زحلا الا اميرين ان طال المدى عزلا

وكذلك :

وثريا النجوم تلقى حماماً كالثريا في رهطها القرشية

وكذلك :

يجوز ان تطفأ الشمس التي وقدت من عهد عاد واذكى نارها الملك
فأن خبت في طوال الارض حمرتها فلا محالة ان ينقض الفلك

وبهذا تكتمل الصورة الشعرية التي يرسمها المعري للزمن . خط مستقيم انطلق من نقطة فريدة وسار يشيع الفناء والفساد والدمار وسيظل سائراً حتى يبلغ مداه في المستقبل البعيد ، في نقطة اخرى تتبدد عندها خيوط الوجود ، ويشيع الدمار في الافلاك ، وتختفي الحياة والمادة .

بيد ان الدكتور طه حسين – الذي حرص في كتابه « ذكرى ابي العلاء » ان يثبت تأثر المعري بالفلسفة اليونانية – ينقض هذه الصورة التي رسمناها لزمن المعري من اسسها . فأبو العلاء عند الدكتور طه حسين – مثل فلاسفة اليونان – يقول بقدم المادة وقدم الزمان وعدم تناهيه .

وأنا لا افهم كيف يمكن التوفيق بين هذه الدعوى وبين ما سقناه من ابيات او بينها وبين هذه الابيات التالية التي تثبت حدوث المادة مما يستتبع ايضاً حدوث الزمن .

فساد وكون حادثان كلاهما شهيدان بأن الخلق صنع حكيم

وكذلك :

ان صح ما قال ارسطاليس من قدم وهب من مات لم يجمعهم الفلك

والدكتور طه حسين يلمس هذا التناقض في قضيته فيقول بعد ان جزم بقدم المادة والزمن عند المعري . « اما ان يكون ابو العلاء انتحلها انتحالا (الابيات التي تثبت التناهي) واما ان يكون قد ذهب بالقدم الذي نفاه مذهب القدم الذاتي اي انها ليست قديمة خالدة بذاتها وان كانت قديمة بالزمان » [1] . وهذا كلام له خبىء كما يقول المعري . فالقدم الذي نفاه المعري هو قدم ارسطو اي قدم الزمان بلا مواربة ولا افراط في التفلسف .

وهكذا يدور الدكتور طه حسين في فصوله عن فلسفة المعري مضطرباً بين القدم والتناهي فيؤكد في اولها ان ابا العلاء كان « يوناني النزعة » . ثم ينتهي بقوله « خرج ابو العلاء من هذه المعركة اسلامي النزعة في الحقيقة وفقه الكلام يونانيها ايضاً » . فما معنى هذا الكلام ؟ هل معناه ان المعري – في هذه القضية الاساسية – كان يقول بالرأي وضده في نفس الوقت ؟ ان هذه لا شك محاولة ساذجة للخروج من المأزق باخفاء الوجه الحقيقي للمشكلة وراء ستار من العبارات المتحذلقة .

على ان هذا التناقض ليس قائماً بكتاب الدكتور طه حسين وما اورده من ابيات فحسب بل قائم كذلك بنص قديم لم يذكره الدكتور طه حسين هو كتاب الاحتجاج للطبرسي .

ففي هذا الكتاب حوار منسوب الى ابي العلاء (الدهري) وبين السيد المرتضى نسب فيه الى المعري القول بقدم الزمان والمادة ومطابقة العالمين الكبير والصغير . وجميعها من الافكار الفلسفية التي اشاعها تلامذة الفلسفة الارسطوطالية في ذلك الحين . واضطرب لها علماء الكلام اشد الاضطراب كما بينا ذلك في العدد الماضي .

ويدور الحوار في رواية الطبرسي في اسلوب بعض قصص العامة من التراشق بالاسئلة في اسلوب غامض موجز لا يفهمه احد الحاضرين يقوم بعده احد المتناظرين مدحوراً ثم يأخذ المتناظر الثاني بشرح ما خفي عليهم من هذه الملاحاة الكلامية .

(١) تجديد ذكرى ابي العلاء لطه حسين ص ٢٧٠

(٢) راجع قصة الفلاح والفارسي في كتاب هز القحوف في شرح قصيدة ابي شادوف .

فيسأل ابو العلاء « ايها السيد ما قولك في الكل ؟ »

فيقول السيد « ما قولك في الجزء ؟ »

فيسأل ابو العلاء ثانية « ما قولك في التدوير ؟ »

فيقول السيد « ما قولك في عدم الانتهاء ؟ »

فيقول « ما قولك في التحيز والناعورة ؟ »

فيقول « ما قولك في السبعة ؟ »

فيقول « ما قولك في الزائد البري على السبع ؟ »

الى آخر هذا السخف المدرسي الوسيط الذي يزعم صاحب الرواية ان المعري قام بعده مدحوراً يلحقه قول السيد المرتضى«قد غاب عنا هذا الرجل وبعد هذا لا يرانا . »

والرواية من اولها الى آخرها واضحة الفساد ظاهرة الانتحال فليس هكذا يتناقش الفلاسفة والكلاميون في اخطر ما كان يشغل العالم الاسلامي اذ ذاك من افكار . وعلى الذي يريد ان يرى صورة صادقة لحوار جاد في نفس الموضوع ان يراجع مناظرة الرازيين — ابي حاتم الرازي وابي بكر الرازي — في كتاب اعلام النبوة لابي حاتم .

هذا الى ان الشريف المرتضى لم يعرف عنه الاهتمام بالكلاميات . وجميع ما ذكر في كتب التاريخ عن مجلسه كان متصلاً بالادب ورواية الشعر . فاذا علمنا بعد هذا ان هذه الرواية لا ترد في غير كتاب الطبرسي . وان جميع الكتب الاخرى التي تناولت سيرة ابي العلاء سواء بالمدح او الذم تجمع على ان اسباب الفرقة بين المعري وبين المرتضى كانت استشهاد المعري — في معرض الدفاع عن المتنبي — بقصيدة له رأى فيها المرتضى تعريضاً به ، فأمر بسحبه من رجله خارج المجلس. وهي رواية أشهر من ان تعاد هنا . وقد كان لهذه الحادثة المذلة لنفس المعري ابلغ الأثر فغادر بغداد عائداً الى المعرّة حيث فرض على نفسه المحابس الثلاثة وآثر عيشة الانزواء وانتظار الموت والتغني به .

تضخم « الأنا » عند المعري

ان زمان المعري في استقامته وايقاعيته الرتيبة وتساوي اجزائه في الكم والكيف هو النتاج الخالص للعقل الواعي الماثل في « الأنا » المفرد .

يقول كارل يونج — زعيم المدرسة التحليلية في علم النفس — « للأنا جميع خصائص الانتقال والتحول بينما اللاأنا كامن في الخلود والصلة »[١] .

ويقول ادلر في كتابه دراسات في السيكولوجية التحليلية : « ان العقل الواعي في تغير دائم وحركة دائبة بينما اللاواعي بلا زمن وفي حالة ديمومة كاملة ». ومن العقائد الشائعة عند البدائيين — وفي التوراة آثار واضحة لها — ان الانسان كان في اول امره خالداً وانه ضيع هذا الخلود نتيجة حادثة او خطأ . وهذه الحادثة او الخطأ ليستا سوى طلوع الوعي. فأن يصبح الانسان « واعياً » معناه ان يصيبه الفناء . وهذه الفكرة مضمنة قصة الفردوس والخطيئة الاولى . وهذا هو السبب الذي من اجله قال الفيلسوف بروكلوس : « حيث الخلق فهناك زمن »[٢].

اما اللاواعي فهو الخلود الذي بلا زمن وهو الديمومة التي لا تنحسر .

فسير الطبيعة كما اسلفنا في المقال الماضي يتحرك في دائرة متلاقية الاطراف لا تنتهي. والعقل الواعي وحده هو الذي يستطيع ان يتخطى حدود هذه الدائرة وان يتأملها من الخارج تأملاً يستطيع معه ان يعيد سبكها ، ويفصل اطرافها . فيحقق بهذا عملية الاقطاب الكبرى التي يقف فيها الأنا على احد طرفي القطب والطبيعة على الطرف الآخر .

(١) C. Jung : Psychologie und Alchemie P. 155

(٢) G. Adler : Studies in Analytical Psychology P. 172

وعملية الاقطاب هذه هي بلا جدال اهم مراحل التطور عند الانسان بل هي اساس انسانيته، ووعيه بنفسه.

فعند الطفل يكون الاحساس بالأنا خافتاً خفوتاً يكاد معه الا يوجد. ويذهب بياجيه Piaget الى ان الوعي بالأنا ليس فطرياً على الاطلاق. ويقول ان جميع خبرات الطفل الاولى تسبح في «مطلق» غير متميز. وان الطفل عندما يحس بالألم – بوخزه الابرة في قدمه مثلاً – لا يربط بين هذا الألم وبين نفسه. واحساسه يكون غالباً بان هذا الألم قائم في المكان على نحو يستطيع معه اي شخص ان يتناوله ويحسه كما يحسه هو [(١)].

وكذلك الامر في حالة الانسان الاول. فعالم الانسان البدائي – مثل عالم الطفل – عالم تشيع في ثناياه الطاقة والحيوية. ويحتشد بالاسقاطات التي تصبها الروح في كل جانب فيحفل العالم الخارجي بما يقوم في نفس الطفل والبدائي من عواطف ومخاوف ورغبات. وقمم هذه الخبرات عند الانسان الاول تحاط عادة بالقداسة وتصبح اساساً للطقوس والدين. ثم الدراما والميستريات (الاولى للعامة والثانية للخاصة).

كما ان الحدود عند الانسان الاول بين العقل الواعي والعقل اللاواعي ليست بيّنة. لذلك تسقط صور اللاواعي الخالدة على ما يشابهها في العالم الخارجي مثل الاشجار والانهار والبحار والغواني والابطال المقاتلين فتتخذ هذه مغازي رمزية حافلة بالمعنى.

وفي مثل هذه اللحظات الحافلة التي تتقابل فيها الصورة الداخلية الروحية، مع نظيرتها في العالم الخارجي تتحرك مكامن العقل اللاواعي وتنطلق شحنة كهربية ضخمة تتم بها عملية الاقطاب، فيتميز الأنا ويستقل ويقف عند طرف ويتميز الموضوع ويستقل ويقف عند الطرف الآخر.

وهكذا تتم انبثاقة الأنا وتبين مطالع مشرقة في الخبرة الفذة العميقة في الالتقاء القوي الحافل بين خارجية ضخمة واستجابة نفسية عامة.

ونمو الأنا هو نمو النهج المنطقي، والتتابع الزمني السببي، والتجريد للخبرات المفردة بوصلها بعضها ببعض وتعميمها بحيث يتسع شمولها.

على ان اضطراد هذا النمو للأنا يكون على حساب اللاواعي فيحبس طاقة الروح ويردها على نفسها. وهكذا يفقد الانسان – في محاولته السيطرة على بيئته الاجتماعية والطبيعية سيطرة منطقية واعية – صلته بالاعماق الغنية للاواعي. فيصبح – في منهج يونج السيكولوجي – مشوهاً «مفرد الجانب».

على ان اللاواعي يظل يلقى بصورة، محذراً ومنذراً، وخاصة في لحظات استرخاء الواعي في النوم والحلم. وتظل محتويات اللاواعي هذه في ارتدادها على نفسها تزيد شحناتها في بطء ولا تجد مخرجاً من الاسوار المانعة التي اقامها دونها العقل الواعي. فاذا بلغت الشحنة حدها الاقصى تفجرت هذه المحتويات اللاواعية وتدفقت في الواعي محطمة جميع الحواجز المقامة. فتشيع الاضطرابات التي تختلف من انواع العصاب المختلفة الى الذهان والجنون المطبق، كما تغذي دعوات الحروب وتثير انواع الاحقاد الخفية.

ومن جميع هذا نرى ان تجريد اليهود للزمن الكلداني الدائر مع حركة الافلاك، والمتجدد دائماً في لحظات المراسيم والاعياد الدينية، وتحويلهم له الى زمن تاريخي (اي زمن رياضي مجرد) يمتد في خط مستقيم – انما تم في استيقاظة الأنا. ثم نرى تضخم هذا الزمن التاريخي وانفصاله انفصالة باترة عن جذوره العميقة الدائرة في ديمومة كاملة، قائم في تضخم هذا «الأنا» نتيجة لعزلة اليهود عن بقية البشر واستغراقهم في مشكلتهم السياسية الخاصة.

وكذلك نرى في زمن المعري بمنحاه الانتحاري تضخما باثولوجيا في «الأنا» نتيجة للحركة العقلية التي ظلت ترسل جذوراً

(١) *K. Koffka: The Grawth of the Mind P. 380*

وفروعاً في التربية العربية منذ القرن السادس الميلادي – وكذلك لظروف خاصة سنتناولها في مقال تال – مما نتج عنه دفع الروح العربية تدريجياً خارج الدائرة المغلقة للطبيعة وحرمتها التناغم مع العالم الذي يحيط بها . وفي عبارات يونجية يمكن القول ان الوحدة السابقة على الوعي التي كانت قائمة بين الكائن البيولوجي وبين الطبيعة قد مزقت الى فاعل ومفعول ، الى ثنائية مستعرة الاوار .

ورغم ان الشعر الجاهلي قد بلغنا في حالة من اكتمال الشكل واستقرار الموضوع بما ينبىء انه ليس اول الشعر العربي فهو على كل حال يمثل مرحلة في تطور النفس العربية كان فيها العقل اقل سطوة، والصلة بالطبيعة ادعم واقوى، وذاتية الشاعر منطوية في الصورة التقليدية للبطل الاسطوري . ولا جدال عندي ان الشعر الجاهلي الذي بلغنا هو مرحلة متوسطة بين الشعر الغنائي الخالص الذي ظهر بعد الاسلام وشعر ملحمي سابق عليه ، تنتفي فيه الصفة الذاتية للشاعر وتشيع فيه الحركة والواقعة الدرامية .

ونحن على كل حال نرى في معلقة امرىء القيس صورة اقرب شبهاً بالشعر الملحمي هذا الذي نبحث عنه . ففيها الشاعر الفارس وحيداً على مطيته ، وقد اتحد مع الليل الزاخر الذي تعلقت فيه النجوم باطراف الجبال . او خرج – مثل كريشنا – يخفي اثواب الغواني السابحات ، ويدعوهن الى الخروج من الماء عاريات ، او ضاجع امرأة اعطته نصفها والنصف الاخر لرضيع تعلق بثديها .

هنا نرى الشاعر وقد امتزج بجسد البشرية العاري ، واتحد مع الطبيعة واختلطت خيوط وجوده بخيوط الفجر وحبال الشمس واوتاد الجبال ، ورفت روحه حول مفازات السباع ، وخباء النساء ، ورماح الأباة المشرعات .

هنا نرى الشاعر رئداً للبشرية جمعاء وبطلاً هوميرياً من طراز اوديسيوس طوحت به الآلهة في غياهب الكون فرادها وعاد وقد تجللت هامته بالمجد وعبقت اعطافه بأريج الحكمة الالهية .

على ان المناقضة بين الانا (العقل الواعي) واللاأنا (الطبيعة الخارجية والاله الكامن فينا) لم تلبث ان احتدمت نتيجة لنمو العقل وازدياد سطوته ، فأخذ الشاعر يزداد استغراقاً في نفسه وفي خبراته الفردية، وهذا يتم مقترناً بانسحاب مستمر للاسقاطات التي كان خيال الشاعر القديم يلون بها العالم الخارجي ويبعث الحياة في جنباته . ثم تتحول عملية السحب هذه الى رفض لكل ما لم يصنعه الانا والى عزلة رهيبة تتقطع فيها جميع الجذور التي تصل الشاعر بالحياة الساعية من حوله .

وهكذا نبلغ اللزوميات فاذا صورة مختلفة اشد الاختلاف عن صورة بطل معلقة امرىء القيس . صورة الوعي والصحو واليقظة والعقل الذي شغل بنفسه وبوجوده المفرد وتأصلت الغربة بينه وبين الحياة الشاملة والطبيعة المحيطة .

هذا العالم الواسع ، وهذه البيداء التي لا يحيطها البصر ولا يكتنفها الخيال بما يضطرب في جنباتها من الوان الحياة وما تثيره من مختلف العواطف ، لقد تضاءل كل هذا ، صَغُر العالم جداً فأصبح وهو ماثل جميعه في راحة الفكر البشري ولم يعد ما يختلف على صفحته من صور الحياة يثير غير الضيق والملل . لقد شاخت الدنيا وخرف الدهر وتبدد ما اجتمع على وجه الطبيعة اول الزمن من ندى الفجر فبان ما فيه من تجاعيد الهرم وآثار المرض القديم .

ليس العالم او الطبيعة هو ما يشغل النفس البشرية الان ، كلا ولا سعي الانسان فيها وعلاقته بها . بل الانسان اليوم مشغول بوجوده ومأساته . مأساة مولده وحياته المفردة وموته الفاجع . عندما تجتث جميع جذوره ويلقى هشيماً او يذرى تراباً في التراب .

هذه هي المأساة الكبرى كما بانت واتضحت معالمها عند المعري . هذا هو اصل الشر والفساد . هذا السير في تتابع رتيب ، في حجة جائرة ، في سعي متهالك نحو مصير لا راد له ، ولا مهرب منه . الزمن امس واليوم وغداً ثم لا شيء . لا شيء ابداً حتى ولا الصمت ولا الظلمة ولا توسد تراب القبر .

واللزوميات بالالاف من ابياتها وبتجاربها اللغوية والعروضية المستعصية هي في الواقع مرثية هائلة صنعها الانا لنفسه وعزلته ومصيره الفاجع . (يتبع)

القاهرة

ابراهيم شكر الله

اصرار

*

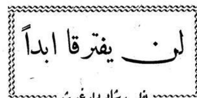
الليل – والرعد المجلجل ، والعواصف ، والشتاءْ
والسحب .. حالكة الجبين تخيط للدنيا رداء
وخيام جوعى ، حائرين ، فلا طعام ، ولا كساء
إلا العـــراء يلفُّهم بصقيعه – إلاَّ العراء
لكنهم لم ييأسوا .. مما يدبِّـره .. القضاء

هذي العجوز توكأت ، فوق العصا .. بيمينها
ويحضنهـــا الطفل الصغير يئن مثل أنينها
جوعان .. لا أم تفيض عليه ، بعض حنينها
لكنهـا جلست تقصُّ عليه ... مُرَّ شجونها
وتحثّهُ للثـــأر ، بعد نموّه .. ومنونهـــا

يا للصغار ، تواكبوا يتسامرون مع الظلام
رفعوا العيون وحدَّقوا .. نحو الفضاء إلى الغمام
وتصايحوا .. يا ليل إنّا سوف يدركنا .. التمام
ونشبُّ رغم ضمورنا ، رغم الضنى ، رغم الحمام
وتشب في أيماننا ، تلك البنادق والسهـــام

ومضى الزمـان ، بخطوة ، المتحفّز المتعجّل
وإذا الصغار كتائب .. مثل الجراد المُرسل
ســاروا إلى جيش العدوّ ، بحيطـة ، وتأمُّل
وقضوا عليه .. كأنّه ... ما كان غير تخيُّل
ذهب العدوُّ .. كما انمحى .. قبر بضربة مِعْوَل

القاهرة كيلاني حسن سند



كانت فائقة الحسن والجمال . وكانت تتقن الى جانب الغنـــاء فن الحديث والاغراء . فلما وفـد الامير يزيد من دمشق الى المدينة، التفّ حوله كثير من هؤلاء الذين يعيشون على فتات الموائد ، ويفسدون الكبراء بما ييسرونه لهم من اسباب الترف .

وكان ابن مينا واحداً منهم ، اقبل على الامير ، ومعه تلك « الفنانة » تلتف بازار يُبرز مفاتنها ، وقـــد جعلت له ذنبين طويلين ، وحملت باحدى يديها دفاً ترمي بـه ثم تتلقاه . فوجدا يزيد جالساً للشراب ، يحتسي الكأس تلو الكأس ، مع جماعة من الندمان والاصحاب . فرنت الفتاة اليه بعينين سلبتـا لبه ، ثم راحت تغني ، قبل ان يأذن لهـا . فزاد الصوت الحنون والمعنى المختار في فتنة الامير الشاب، حتى كاد يخرج عن وقاره . والتفت الى صاحب الجارية يسأله ، وهو يحسبها من بنات الروم:

— وما اسم الجارية ؟

فاجابت الفتاة نفسها ، بلغة فصيحة ورقة آسرة :

— اسمي العالية !

فابتسم الامير بتحفظ تام ، وهو الذي لم يجف عقدا زواجه من « سعدة العثمانية ، وربيحة الجعفرية » .. اللتين تزوجهما معاً لايام خلت ، ومهر كلّا منهما بمبلغ كبير . فاذا طمع في ضم هـــذه الجارية الى حريمه ، اتهمه الناس ، ولاسيا اخوه الخليفة سليمان ، بالتبذير .

ومع ذلك سأل الامير عن « ثمن » هذه الغانية البديعة الصوت اللاهبة الانوثة ، فقال ابن مينا :

— انها غالية الثمن ... فقد خرجها مولاها احسن تخريج ، وادبها اجمل تأديب . فهي محدثة بارعة ، وراوية تبز شهرزاد . فضلاً عن انها ضاربة ماهرة بالعود ، اخـذت الموسيقى عن ابن محرز ومالك ومعبد وابن سريج وغيرهم من فحول الموسيقيين . كما اخذت ضروب الرقص والغناء عن جميلة وعزة الميلاء وسواهما من مشهورات القيان . وهي ، كما ترى يا مولاي ، حلوة ظريفة طيبة ... وما لا يرى منهـا .. احلى واظرف واطيب !

سمع الامير هذا الوصف فبرقت عيناه ، وتحرك في مجلسه كأنه امسى في بحر يضطرم تحته . وسمعت « العالية » ما قيل فيها ، فلم ترف لها عين ، ولم تحمر وجنة . فقد كانت الجواري متاعاً للرجال يبعنهم ما لا يباع ولايشرى ، ويستلبن اموالهم بشتى ضروب الاغراء . ثم التفت يزيد الى صاحب العالية وقال له :

— اشتريها منك بالف دينار ...

فكاد ابن مينا يرقص طرباً ... ومشت الفتاة صوب يزيد تتلوى كالخيزرانـة في ازارها الذي يلف جسدها البديع ، كما تلتف الهندية « بالساري » الجميل !

★

سارت اخبار يزيد ، ومـا انغمس فيه من ترف ، مسيرة اقوال السوء ، حتى وصلت الى آذان الخليفـــة في دمشق ، فاغاظه من اخيه ذلك الاسراف ، وقال لمن حوله :

— هذا لا يجوز ... وهو انما ينفق من اموال الامـة ... فلا بد لي من ان احجز عليه !

وقد خاف يزيـــد سوء العاقبة ، فبعث الى مولى العالية ، يستعفيه من شرائها . الا ان الشعراء كانوا قد ملأوا الآذان تغنياً بمحاسنها ، وبغرام يزيـد بها ، كما شرع المغنون في تلحين مـا نظمه اولئك الشعراء ، حتى استشنع يزيـد نفسه منهم ذلك التبذل والهراء ، وقال لمن معه :

— كل هذا ... قبل رحلتنا ، وقد هممنا ... فكيف بهم لو ارتحلنا ؟

غير ان صورة العالية ... لم تبارح قلب يزيد بعـد ذلك ، ولم يشغله عنها حتى توليه رئاسة الدولة ! وكانت زوجته «سعدة» من النساء الذكيات اللواتي يضحين بكثير من انانيتهن في سبيل اسعاد الرجل الذي يحببنه . وقد بلغت سنا تحررت فيهـا من مركبات النقص واعراض الغيرة التي تنم عليها ، فقالت لنفسها ذات يوم :

— ماذا علي لو بعثت من يشتري العالية ... ثم وهبتها الى يزيد ... واشترطت عليه ان يوصي بولاية عهده الى ولدي ، دون سائر اولاده ؟

وقبل ان ترجع عن هذا العزم الخطير الذي يندر في النساء مثله ، بعثت سعدة رسولاً خاصاً ، وكلفته شراء تلك الجارية

قصة

من مولاها الجديد في افريقية... مهما غلا ثمنها! فلم تمض غير ايام حتى رجع الرسول موفقاً. فسرت سعدة بذلك، او تظاهرت بالسرور، وقالت للخليفة تباسطه، والغيرة تأكل قلبها:

– قل لي يا امير المؤمنين ... هل بقي عليك من الدنيا شيء لم تنله؟

فنظر الخليفة الى زوجته الذكية، طويلاً، وهو يستقرىء في عينيها ما تخفيه في قرارة نفسها التي اغلقت عليه، منذ تزوج بسواها، ثم قال بعد تنهد عميق:

– نعم ... العالية!

فتبسمت المرأة الماكرة، وقد انخطف لونها، منذ جاء جواب رجلها وفق ما قدرته، وقالت: هذه هي... وهي لك!

فكاد الخليفة يطير سروراً... ثم قام من مجلسه، وقد برزت العالية من وراء ستار، كأنها جنية الاساطير، تشع جمالاً وفتنة، وهو يردد كالمأخوذ:

– اهلاً بحبابة ... اهلاً بحبابة!!

★

مضت الشهور، بعد ذلك، كما تمضي في القصور المترفة: يعدد سكانها الايام ليعيشوا، ولكنهم لا يحبون فيها الحياة التي تسمو بهم الى مرتبة الانسان. فنساء يعشن للاستئثار بعطف الرجل «السيد» الذي وزع قلبه بينهن دون عدل، وجوار يتكاثرن وينشدن ضروب الفسق في حرم الزوجية والامومة. والرجل الذي ورث الملك دون اعداد او استعداد، يملك ولا يحكم الا ليستنزف اموال الشعب بسبيل اشباع نهمه وشهوات حاشيته!

وكانت «حبابة» اول من تأثر بهذا الجو الذي بلغ من الترف حد التشبع، كما يتشبع الهواء بالرطوبة في ابان الشتاء. فكانت تبتكر الاساليب للاستئثار بعطف الخليفة وحبه، ابتكار الفنانة المدربة والمرأة المجربة.

فقد دخل عليها يوماً، دون موعد، فسمعها تترنم وهي لا تراه:

– «كان لي، يا يزيد، حبك حينا، كاد يقضي علي لما التقينا!»

فرفع الخليفة الستارة التي تحجبها، فوجدها مضجعة، وهي تقبل على الجداد، وقد انحسر ازارها عن بعض ساقيها... فما تمالك الرجل نفسه، فألقى بجسده عليها، وراح يقبلها ويعصرها بين ذراعيه كالمجنون!

وبعد ذلك غلبت «حبابة» على يزيد، وملكت لبه. فلما تزوجها عمر بن هبيرة، علت منزلة «الزوج السعيد» عند الخليفة حتى كان يدخل عليه دون استئذان، في وقت شاء. بل لقد ولاه يزيد امارة العراق، دون مزاحمه الكبير على ذلك المنصب الخطير، الذي يعادل عرشاً، والناس يقولون عاذرين وغامزين:

– ومن يطيق مزاحمة ابن هبيرة! حبابة في الليل وهداياه في النهار؟

ثم تكاثر همس الناس بمثل هذه الغمزات، واشتد عتبهم على الخليفة الفاسد. فتجرأ اخوه مسلمة وقال له:

لقد وليت بعد عمر بن عبد العزيز، وكان مثالاً للخليفة الصالح والملك العادل. فاتق الله في نفسك واحفظ كرامتك وهيبة الخلافة! فان الوفود ببابك واصحاب الحاجات والظلامات يصيحون وانت غافل عنهم! فالى متى تتشاغل عن امور الأمة بهذه الأمة؟

فخجل يزيد، واطرق برأسه الى الارض وهو يتمتم:

– صدقت والله، وانني اعاهدك عن ترك الشراب وهجر هذه الجارية، منذ الان!

فلما علمت حبابة بما كان، اعتبرت ذلك رداً من «مسلمة» على كيدها السابق في عزله من ولاية العراق. فأرسلت الى الشاعر «الاحوص»، تسأله ان ينظم لها ابياتاً تغنيها... وتسترد الخليفة التائب وقالت له:

– لك مكافأة، الف دينار، ان رددته الي!

ولكن ارادة الرجل المتجلد الصابر تغلبت على اغراء الشاعر وكيد المرأة التي بعثت به، فمكث اسبوعاً لا يرى «حبابة» ولا يدعو بها اليه. فتألمت «الجارية» المهجورة وراحت تتذكر ايامها السالفات بالغصص والحسرات، وان ظلت واثقة من ان يزيد سيسترضيها عما قريب، كما فعل من قبل، اكثر من مرة. وتقول وهي تنظر الى وجهها الفتان في المرآة:

– سيعود! سيعود! أليس كذلك ايتها المرآة الصديقة؟

ثم تقهقه بصوتها المنغوم، وتتلفت صوب النافذة المطلة على باحة القصر. واذا بالخليفة نفسه يمر متجهاً نحو المسجد الجامع.. فتغتنم الفرصة العابرة وتغني ما نظمه الشاعر المأجور:

«ألا لا تلمه اليوم، ان يتبلدا ... فقد غلب المحزون ان يتجلدا
بكيت الصبا جهدي، فمن شاء لامني ... ومن شاء آسى في البكاء واسعدا
واني، وان فندت في طلب الغنى ... لأعلم اني لست في الحب اوحدا
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجراً في يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهي ... وان لام فيه ذو الشنان وفندا»

لم يسمع الخليفة هذه الابيات بلحنهـــا الآسر حتى طرب والتفت الى حبابة يقول لها مداعباً :

— قاتلك الله ! أبيت إلا ان ترديني اليك !

ثم عاد ادراجه ، وامر بان ينوب عنه غـيره في اداء الصلاة الجامعة . ودخل على حبابة ، فأخذ يشرب الخمر عندها ، وهي تغني له تلك الابيات ، حتى طرب واستخفه السرور فصار يدور في الدار ويصيح كالمجانين ، ثم جعل على رأسه وسادة كطفل يقلد البياع المتجول وهو يصرخ :

— اللوبيـــا والسمك الطريء ، اربعة ارطال عند بيطار حيان بدينار ...

واقبل على الجارية يداعبها ، ويقول متفانياً في حبها :

— هل اطير ؟

فتجيبه حبابة ماكرة : والى من تترك الناس بعدك ؟

فيجيب الخليفة راضياً : إليك ... يا نور العيون !

فتضاحك الغانية ، ثم تستأنف انشادها فيزداد يزيد طرباً ، حتى يبلغ ما وراء الذروة ، في العربدة والمجون !

هكذا عاد يزيد فانصرف من جديد الى شهواته ، مهملاً واجباته كرئيس أعلى للدولة ، وهو لا يدري انه يخط بذلك لتلك الدولة طريق الانحلال والانهيار . ثم خطر له ان يبتعد بها عن فضول العيون وثرثرة الافواه ، فاصطحبها الى ضواحي العاصمة حيث نزلا في بعض « الاستراحات » الملكية ... وقال لبعض حاشيته ، وكأنه يتحدى القدر : لقد زعموا انه لا تصفو لأحـد عيشة ، في نهاره بكامله ، الا يكدرها عليه شيء ! وسأجرب ذلك اليوم ! فاذا كان غد ، فلا تخبروني بنبأ ولا تأتوني بكتاب !

ثم اختلى هو والجارية ... وسط بستان كأنه قطعة من جنان الخلود . فقطفت حبابة كوزاً من الرمان شرعت بأكله ، وهي في مباذلهـا ، تداعب الخليفة ، فتقذفه بحبة من الرمانة ، يتناولها بفمه ، لتعود فتتلقاها من بين شفتيه ... في فمها . ثم تقهقه راضية كأحسن ما تكون المرأة تستأثر برجلها ، وهو ملك الملوك وامـير المؤمنين ! وماهي إلا لحظات ، حتى شرقت « حبابة » بحبة من الرمان ، فأصابتها على الأثر نوبة حادة من السعال ، انتفخت لها اوداجهـا وجحظت عيناها ، واصطبغ وجهها الأزهر بحمرة الشفق تنقلب الى لون بنفسجي ادكن !

وصعق يزيد فتهافت على الجارية يحيطها بذراعيه ويحنو عليها بما وسعت نفسه من توله وعبادة . فما اغناها ذلك عن المصير المحتوم ! لقد اختنقت حبـابة بعد دقائق ، وهي في مثل نضارة الزهرة تتربع على ذروة الحب وتستمتع بكبرياء الجمال والفن !

اما يزيد فقد جن جنونه وأخذ يصرخ مذعوراً فأقبل بعض حاشيته ، ليقفوا امامه وهو سادر عند جثة الجارية ، لا يتحرك ولا يتكلم ، ولا يبدو على قسمات وجهه انه عرضة لأعنف انفعالات الألم . فلقد انهارت اعصابه واصيب بالذهول ، واقام ثلاثة ايام على هـذه الصورة ، لا يدفن الميتة حتى تغير لونهـــا وانتنت ، وهو تطاوعه عينــاه حيناً فيبكي ، ولا تسعفه تلك الصبابات احياناً فتنزى العاطفة منها لهيبا يحرق اجفانه !

ويقول له اهله ينصحونه ويعيبون عليه ذلك الضعف :

— يا امير ! لقد صارت بين يديك جيفة ! الا ترى ؟

فلا يستمع الى نصح ، ويهزأ بكل ناصح ، وهو مكب على حبيبته يشمها ويرشفها كالام الحنون !

في اليوم الرابع أذن يزيد في غسل حبابة ودفنها . ثم رافقها الى مرقدها الاخير ، وهو صامت لا يتكلم ، حتى جلس على قبرها ، فقال والحزن يقلص معالم وجهه :

— اصبحت والله بعدك كما قال « كثير » :

« فان يسل عنك القلب او يدع الصبا فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد ! »

بعد ثلاثة ايام ... اشتاق يزيد الى تلك التي لم يسل قلبه حبها حتى باليأس . فأمر بنبشها . واستنكرت الحاشية ذلك الطلب المستهجن . فأصرّ الخليفـة على ان تنبش الحبيبة الملحودة ، فنبشت ، وكشف له عن وجهها ، وقد تغير تغيراً قبيحاً ، ثم قيل له : — يا امير ! اتق الله ، وانظر اليها كيف قد صارت !

فقال يزيد ، وهو اصدق ما يكون الموله المفتون : — والله ما رأيتها احسن منها اليوم ! اخرجوها !

واقبل على القبر ليتلقى بيديه الجثمان المتفسخ ... فما كان من اخيه مسلمة ، وعدد من خاصة اهله ، الا ان تدافعوا نحوه يردونه عما هم به ... وهو يأبى الانصياع لهم ، حتى اجبروه بشيء من العنف على الابتعاد ... والروائح التي تتقزز منها نفوس الاحياء تنبعث من الحفرة الرهيبة ...

ولما انصرف الخليفة عن قبر « جاريته » الى مقره ، كان قد قرر ان يعتزل الناس ... فما دام ذلك منه الا اياماً معدودة ، احرقه فيها الكبت ، فمات كمداً .

وقد دفن الخليفة ، بوصية منه ، الى جانب « حبابة » ، في قبر مجاور ... فقال الناس : — هنيئا له ولها ، فانهما لن يفترقا ، ابداً .

رشاد دارغوث

اديبة من الاندلس

بقلم السيدة سعاد ابو شقرا

هنالك في تلك الارجاء البعيدة ، التي سجلت لنا قديما تاريخاً عزيزاً وفتوحات شاسعة ، وحفظت لنــا بأحرف من نور ، ذكريات احقاب مليئة بالاحداث زاخرة بالحياة ؛ قامت لنا مدنية وارفة الظلال وانتشرلنا بيان رائق التعابير صافي النبرات وارتفع في كل صوب صوت المغردين والصادحات من شعراء الاندلس المبدعين وشاعراتها !

وتلك الاراضي الجميلة التي انبتت الخيرات غزيرة وحفلت بالمفاتن الطبيعية والمناظر الخــلابة ، كانت جوادة على الأدب العربي بافذاذها من الكتاب والمفكرين وبكبارها من الأدباء والشعراء .

وحين نذكر الاندلس الجميلة ، نذكر معها النشاط الفكري الواسع الذي ولده احتكاك الفكر العربي بالفكر الغربي ، وتتسابق الى اذهاننا اسماء العديدين من الذين خلدوا في التاريخ العربي ؛ وتتراءى لنا عن بعد صور القصور الكبيرة والبيوت العامرة ، واطيــاف النساء يلمعن فيها واصوات المغنين يرجع صداها الجو الجميل وآهات الاعواد تواكب الغنــاء الجميل والاصوات الرخيمة !

كانت المدن الاندلسية كلهــا مسرحاً للحضارة التي انبعثت رفيعة واسعة النطاق ، فكانت في المدن عمراناً ويقظة فكرية ، وفي الارياف خصباً وخيرات ، وفي النفوس اقبــالاً على العلم وتسابقاً في التحصيل حتى باتت الاندلس محط الانظار وموطن الادباء والاديبات اللامعات .

لكنّ العصر الذي ندرس بيئتــه اليوم ، هو المئة الخامسة للهجرة وهذه الحقبة في تاريخ الاندلس هي بدء تفكك عرى المملكة الجميلة ، وانقسامها من جراء الفتن السياسية الى دويلات يسود فيها ملوك الطوائف . اما المدينة التي لمع اسمهــا في تلك الفترة وسطعت طويلاً في تاريخ الحضارة العربية وصفحات ادبها الواسع ، فهي غرناطة العربيــــة بامجادها وطقوسها ، والعربية بتقاليدها واجوائها . ولئن نحن خصصناها بهذه اللمحة التاريخيــة السريعة ، فلأنها كانت المكان الذي نشأت فيه شاعرتنا وشبّت ، فكانت المسرح الجميل الذي ارتفع فيــه صوت الشاعرة المحبوبة فسمع مرنّماً في القصور ، رنانا حلو التقاسيم رخيما عذب النبرات

اما صاحبة هذا الصوت الجميل فهي شاعرة حسناء عرفتها مدينة غرناطة كاعباً يفيض قلبهــا حيوية ورقة ويسيل شعرها صفاء وعذوبة . وانه لمؤسف حقاً ان تكون الاشعار التي وصلت الينا من تراث الاندلسيات قليلة جــداً حتى لا تكاد ترى بين ركام الأجيال . لكنّ هذه القلة التي وصلت الينا كافية لأن تثبت لنا ان شاعرات الأندلس ما تمتعن بهذه الشهرة الا لأنهنّ كنّ بحق اديبات رقيقات انطبع شعرهنّ بطابع الطلاوة وقوّة البيان .

واذا كان تراث الاندلسيين من ادباء واديبات قد فُقد معظمه مع ما فقد من مخلفات الفكر الأندلسي ، فما معنى ذلك ان الذي بين ايدينا من نتاج ، هو اجود ما قالوا او اجمل ما تركوا . وليس بعيداً ان يكون أدب شاعرات الأندلس اللواتي عُرفن برقة الشاعرية وقوة السبك ، وارتفع صوتهنّ عالياً في الأجواء فلقبت احداهن بخنساء المغرب وعرفت ثانية بعلية الأندلس ، اجل ليس بعيداً ان يكون أدبهنّ وافر المادة غزيرها وقدفُقد اكثره اثر النكبات التي تتابعت على الأندلس العربية فأودت بمكتباتها الضخمة وأوقعت بالأدب العربي خسائر جسيمة .

عاشت نزهون القلاعية كما اشرنا ، في القرن الخامس الهجري وشهدت وهي الشابة التي يجيش قلبها بمرهف الاحاسيس ورقيق العواطف ، المرأة الأندلسية تقبل على الحياة بنهم وتأخذ من اللهو والنعيم باقساط وافرة . ففي هذه الحقبــة بدأ الاندلسيون يتحررون من تقاليدهم الاجتماعية الموروثة عن اجدادهم الشرقيين لينطلقوا في آفاق من الحرية لم يكونوا يعرفونها من قبل . ان سقوط الدولة الأموية ونهوض دويلات المتغلبيــن من ملوك الطوائف في اثرها ، كان حافزاً للاسبانيين على الخروج الى مسرح الحيــاة من جديد ، فأخذت فكرة استعادة الأراضي الجميلة تحتل من تفكيرهم المكان الأوّل ، ونشطت لهذه الأهداف هممهم ، وبرزوا في كل مجتمع اندلسي بروزاً ظاهراً .

وكان لا بد لهذه الظاهرة ان يكون لها تأثيرها في حيــاة الأندلسيين السياسية والاجتماعية ، وانها لمرحلة خطيرة في تاريخ تطور الأحداث في اسبانيا . فالاسبان بدأوا يشعرون انهم مظلومون مغتصَبو الأراضي ، والعرب كانوا يرون فيهم العنصر الناهض الذي يعمل على لمّ الشعث وتوحيد الصفوف . فبدأوا ينظرون اليهم نظرة احترام وتقدير تطوّرت مع الزمن فأصبحت نظرة ضعيف يهدده تفكك الصفوف بموت محــتم ، الى قويّ يتحفز للوثوب ويفرض انّى حلّ احترامه وهيبتـــه وطقوسه وعاداته .

ولم تكن المرأة باقل من الرجل استيعابا لِكُنْه هذه الحياة الجديدة ؛ فاحترمت معاصرتها الاسبانية واكبرتها وقلدتها في ازيائها ومشيتها وعاداتها وخطراتها . واقبلت على المجالس المختلطة اقبالها مشاركة القوم في اللهو مساهمة في كل ما هو تجديد في العادات واقتباس عن الفرنجة ، حتى لباتت النساء العربيات في اسبانيا يخطرن في قصور الامراء ويشتركن بمساجلة الضيوف اسوة بالاسبانيات وتقليداً لهن .

وفي مثل هذا الجو العابق بالفتن السياسية ، عاشت نزهون الشاعرة المبدعة في مدينة كانت تعرف قبلاً بتحفظ نسائها وبتمسكهن الشديد بطقوس الدين الاسلامي وقواعده . لكن شاعرتنا كانت من اشد الناس استجابة لمظاهر هذه الحياة الصاخبة الزاخرة بالعديد من انواع اللهو ومفاتنه ، وهي حسناء يفيض شبابها فتنة وحياة وتجتمع لها عناصر الجمال متضافرة لتجعل منها في مجالس غرناطة كوكباً ساحر الضياء متوهج السناء .. ومتى اجتمع للمرأة العلم والاطلاع مع الجمال والفتنة فلا غرابة عندئذ اذا لمع صيتها وتقرب منها الرجل متودداً معجباً ...!

عرفت نزهون بذكاء مفرط وسرعة خاطر عجيبة فكانت حاضرة النكتة حاضرة البديهة ؛ في حديثها رقة وفي صوتها موسيقى . واغدقت الطبيعة عليها العطاء فخصتها بمحافظة قوية جداً كانت لها عوناً في تنميق الحديث ومؤتمناً على الامثال والابيات الجميلة من الشعر ترويها لكل متعطش الى أدب « الصالون » وتطفىء بها جذوة التواقين دوماً الى سماع حديثها ومناقشة آرائها .

تمتعت نزهون بثقافة كانت لمثيلاتها في ذلك الزمن البعيد ، تعد عالية جداً ، وتتلمذت على الكبار من الاساتذة والفقهاء حتى كان تحصيلها في اللغة يرفعها الى مصاف الادباء المشهود لهم بسعة المعرفة ووفرة العلوم . وتأثرت بالجمال يحيط بها من كل جانب ، وماج فؤادها النابض بمستعر العواطف ومرهف الشعور فعبرت عن كل ذلك بالرقيق الجزل من الابيات ، ووصفت الجمال بالحلو القوي من الشعر حتى باتت شاعرة غرناطة المبدعة ، ينطلق صوتها الصداح في اجواء القصور والبيوت الكبيرة ، فيحرك بنغماته اوتار القلوب الواجفة ، ويثير في النفوس الآمنة عواصف الحب الجارف والمشاعر المحمومة ..

ان نزهون اديبة كبيرة بين اديبات الاندلس ارتفع صوتها في كل لون من الوان الشعر ؛ وساعدتها جرأتها وقوة شاعريتها على اثبات شخصيتها في بلاط الوزير ابي بكر بن سعيد حاكم غرناطة .

فكانت في قصره المحيا الجميل الذي ترنو اليه عيون القوم خاطبة وده ، وكانت في قاعاته الرحبة لوحة فنية تكاملت فيها مقومات الفتنة والابداع . وكانت للقلوب المتألمة وللنفوس القلقة بلسماً ينزل عليها الشقاء والبرء . يلطف حديثها اللبق جوّ القلوب العانية ويفيض بشرها انى توجهت موجة من الهناء تغمر المجالس التي كانت ترتادها او تدعو اليها .

ونشأت بينها وبين الوزير ابي بكر مودة متينة تطورت مع الزمن فكانت حباً قوياً ألّف بين قلب الشاعرة وقلب حبيبها الكبير . لكن الحياة التي عاشتها نزهون ، لم تكن الحياة الهادئة الوادعة التي لا يحركها تيار الحب الا مرة واحدة فينتهي بها الى زواج تقدس حرمته بالطهارة والوفاء ! .

كانت نزهون كما ذكرنا قبلاً ، متحررة في تصرفاتها من كل ما هو كبت للرغبات او محافظة على سنن الاخلاق . فان هذه الامور كانت في نظرها تخلفاً عن ركب الحضارة ، وكانت حرماناً وتضييقاً لا يصح ان تعانيها امرأة لها من قوة الشخصية ما لها هي الاديبة الطلقة اللسان التي تواجه تيارات الحياة دونما خوف او وجل .

قد يكون تقرب نزهون من الحاكم يومئذ تقرب كل امرأة تريد ان يكون لها في بلاط الحاكم نفوذ يقوم ظاهره على الحب والولاء ويرتكز في صميمه على حب الظهور والرغبة في استغلال هذا الحب لمصالح محض شخصية . ولهذه الاسباب لم تكن نزهون تخلص الحب لوزيرها او تكتفي من مغامراتها بحب الحاكم والوفاء له . ولهذا نرى ابا بكر الوزير القوي البطش والواسع السطوة يلين مع نزهون فيكتب اليها معاتبا ويقول :

يا من له الف خل   من عاشق وصديق
اراك خليت للناس   منزلاً في الطريق

فتجيبه نزهون بابيات فيها شيء من الاقرار وكثير من الاجلال والاسترضاء فتقول :

حللت ابا بكر محلاً منعته   سواك وهل غير الحبيب له صدري
وان كان لي كم من حبيب فانما   يقدم اهل الحق حب ابي بكر

انها دوماً حسنة التخلص ، شديدة الاعتداد بنفسها واثقة من ان لها في قلب الوزير مكانة لا تدانيها فيها اية غانية اخرى ، موقنة انها ان جادت على من يجالسها بانتباهها ، ربحت في ميدان الحب معركة اضرمت هي سعيرها .

ويسترعي انتباهي وانا ادرس شخصية هذه الشاعرة اللامعة مزيد اهتمامها بجمالها واتخاذها له اساساً ترتكز عليه شخصيتها .

فلا الادب يصرفها عن الدلال ولا نظم الاشعار والاشتغال بالامور السياسية يشغلها عن الشرب ولبس المطارف. انها غانية تمثل المرأة المنقادة لاهوائها في افتن صورها وابعد نشاطها. عرفت ان ذكاءها وفصاحتها حبباها الى نفوس الكبار، فأتقنت فن الحديث وذابت في المجالس رقة وعذوبة. وتنبهت الى ان الشعراء كانوا ينظرون اليها نظرة الند للند فجابهتهم بنقاشها وهجتهم لما هجوها خارجة بذلك على مألوف عادة الشاعرات الرقيقات مثيلاتها فكانت بذلك اميل الى نزعة الرجل وكانت بعبارة اوضح تكيّف نفسها مع الاحداث فتلين ساعة تدرك ان الليونة والرقة سلاحها الماضي، وتخشوشن ساعة تدرك ان الدفاع عن النفس يتطلب منها الخشونة.

في اشعار نزهون القليلة التي وصلت الينا قوّة تجعلها في نظري شاعرة مقدمة بين شاعرات الاندلس. ويزيدها في رأيي تفوقاً على غيرها من شاعرات عصرها تلك السرعة في الخاطر والقدرة على الارتجال مع ما في ارتجال الشعر من صعوبة عند الكبار من الشعراء.

كانت شاعرتنا تقرأ مرة على العالم الضرير ابي بكر المخزومي في احدى زياراته للوزير، فدخل عليهما رجل فرأى الاعمى يصغي الى نزهون بكل جوارحه مأخوذاً بجمال صوتها وحسن ادائها. وكأن هذه الحالة الغريبة التي جمعت بين شيخ ضرير طاعن في السن وغادة هيفاء بارعة الجمال تلقي بصوت صاف مقاطع من الأدب على شيخ هرم لا يستطيع رؤية هذا الجمال ليكبره، قد اثارت في قلب الرجل كوامن الحسد وشديد التأثر فقال مخاطباً المخزومي:

لو كنت تبصر من تجالسه ......

وافحم الرجل فلم يستطع اتمام بيته؛ فقالت نزهون للحال:

لغدوت اخرس من خلائله

البدر يطلع من ازرته والغصن يمرح في غلائله

هذه نزهون الأديبة الحاضرة الذهن تحيي مع العلماء ساعات التحصيل الثقافي والمساجلات الأدبية، فيعجب بأدبها العلماء ويقصدها المتأدبون، ثم نراها بعد ذلك تجنح الى ساعات اللهو والمجون فتبدو امرأة اخرى غير تلك التي عرفناها في مجالس الأدب والثقافة وكأني بها من مذهب القائلين: «للعقل ساعاته وللقلب لياليه الجميلة» ولعلها وهي تسر الينا ببعض مكنونات نفسها اقدر تعبيراً على تحليل ميولها واوضح بياناً في اظهار ذلك حيث تقول:

لله در الليالي ما احيسنها وما احيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت عين الرقيب فلم تنظر الى احد
ابصرت شمس ضحى في ساعدي قمر بل ريم خازمة في ساعدي اسد

ويعجبني في نزهون صراحة تجهر بها في وجه كل رجل صغيراً كان ام كبيراً. ولعلّ الحياة المترفة التي عرفتها الشاعرة وتقلبت في احضانها قد جعلت منها انثى لا يضعفها اي مركب نقص يحول بينها وبين ان تبدي آراءها غير هيابة ولا وجلة مرحبة بالنكات التي كان الكبار من القوم ينثرونها امامها، مشتركة كما قلنا في إلهاب حماسة المحدثين. ومما يروى ان احد الادباء سألها مازحاً: «ما على من أكل معك خمسمئة سوط؟»

فقالت:

وذي شقوة لما رآني رأى له تمنيه ان يصلى معي جاحم الغرب
فقلت له كلها هنيئاً فانما خلقت الى لبس المطارف والشرب

ولن نتعرض لهجوها في هذه الدراسة لانه بحق هجو قاس جداً يخالف ما عرفت به نزهون من رقة في الطباع ولطف في المعشر.

وغريب حقاً كيف تنتهي بها الامور مع الضرير المخزومي الى عداوة شديدة فيهجوها المخزومي بشعر شديد لترد عليه هي بما هو اشد منه وآلم.

لقد لعبت نزهون في الأدب النسوي الاندلسي دوراً جميلاً وكان لها في مجالس الوزراء والأدباء مكانة مرموقة ومركز رفيع. لكنها كانت تبذل احياناً حتى لتتيح لنفسها ان تتلفظ في هجوها بكلمات نابية لا تليق بشاعرة لها ما لنزهون من جميل السك ورفيع المكانة.

ولئن كانت نزهون قد انجرفت مع تيار اللهو مستخفة بتقاليد قومها وبسنن الاخلاق والمناقب، فلانها كانت مع غيرها من الغرناطيات والاندلسيات جميعاً، ضحايا عصر جرفتهن فيه موجة من الانحلال الخلقي والتفكك الفكري، نتجت عن الضعف السياسي الذي آلت اليه احوال العرب في الاندلس حين غُلبت الدولة الاموية على امرها فتجزأت الامبراطورية واصبحت مرتعاً للفتن تؤذن بافول نجم دولة لمع زمناً فأنار الغرب بضيائه الوهّاج وارسل نحو الشرق شعاعاً ملأ الارجاء ضياءً والنفوس آمالاً كبيرة.

عاشت نزهون في المئة الخامسة للهجرة، في جوّ كله صخب وتهالك على الملذات فغرفت من الحياة ما استطاعت وماتت قبل ان ترى الاندلس الجميلة تضيع وتتلف على يد الحاكمين المستخفين بتقاليد الامور، غير دارية انها كانت مع لداتها من المساهمات في اضعاف قوّة النفوس العربية في اسبانيا، عنصراً ساعد الجدار المتداعي على السقوط والانهيار.

سعاد ابو شقرا

تعارف

الآنَ قد بدأتْ حياتي وبدأتُ أنشدُ أغنياتي
الآنَ ... منذُ تعرَّفتْ روحي اليكِ وخاطراتي
أنا كنتُ أُحرقُ باحثاً عنكِ شموعَ الأمنيات
حتى لقيتكِ ... فالتقيتُ بكلِ حُسنٍ في الحياة
بالنور ، بالأملِ المندّى ، بالهوى ، بالذكريات ...
بالزهر ينبتُ من رفيفِ خُطاكِ ملءَ الرابيــات
بالشعرِ يُسكَبُ من معانيكِ العذابِ الساحراتْ
بسمائي السوداء في عينيكِ تعبــدُها صــلاتي ..!

★

يا ساعةً فيهــا لقيتكِ ، فالتقيتُ بكلِ ذاتي
وعرفتُ فيكِ جميعَ ما للناسِ من حلوِ الصفات
وصعــدتُ آفاقَ السموِّ العاليــاتِ العاليــات
ومضيتُ أبني دارنا الخضــراءَ وسطَ النيّرات
يا ساعةً دقاتُهـــا وَسِعتْ هنــاءَ الكائنــات
اللهُ صاغــكِ من لذاذاتِ الجنانِ الخالدات
وكساكِ افراحَ العذارى والعيون الباسمــات
وضياءَ أشواقِ القلوب ، ودفءَ وجدِ العاشقات

★

الآنَ قد بدأت حيــاتي بكِ ، بالهوى ، بالأغنيات
حسبي وحسْبُ وجوديَ الوضــاء أنكِ ملءُ ذاتي

دمشق كمال فوزي

في كلمات ...

★ جاء في تقرير رفعه الدكتور سيدني فاربر من مركز ابحاث السرطان للاطفال في معهد الطب بهارفارد في بوسطن انه قد اكتشف علاج جديد يخفف وطأة اخبث انواع السرطان .

وهذا العلاج هو « تريثيل نيفوسنورامين » المعروف كيماوياً بـ « تي اي بي أ » وهو ينتمي الى فصيلة خردل النيتروجين ، المستعملة في معالجة مرض هودجكين ، وكان الدكتور فاربر قد استعمل علاج (تي اي بي أ) في معالجة المرضى بمرض القروح الخبيثة السوداء ، وهو عبارة عن نمو اسود يصيب الجلد اولاً ، ومن ثم ينتشر بسرعة الى اجزاء الجسم الداخلية .

وقد قال الدكتور فاربر في تقريره ان الـ « تي اي بي أ » قد أطال عمر شخص مصاب بمرض القروح الخبيثة السوداء مقضي عليه بالموت اكثر من سنة وقد استأصل هذا العلاج جميع اعراض المرض المذكور بعض الوقت ، ولكنها عادت فظهرت فيا بعد . وقد استعمل هذا الدواء في معالجة اثني عشر مريضاً ، وقد تحسن بعضهم تحسناً ملحوظاً مدة من الزمن .

وفي حين ان الـ « تي اي بي أ » ليس دواء شافياً الا ان الدكتور فابر يقول انه قد يستعمل كاسفين لمكافحة القروح الخبيثة . وتهدف الدراسات التي تجري الآن الى معرفة كيف يعمل هذا الدواء على امل استنباط مواد كيماوية افضل من اسرة هذه العقاقير .

★ اعلن الدكتور نسترخ بيشر احد علماء المعهد الطبي التابع للبحرية الأميركية في اجتماع الجمعية الكيمياء الأميركية ان مادة هيدروجين — ٣ المعروفة باسم « تريتيوم » قد اثبتت فعالية قوية لمكافحة مرض السرطان بنجاح تام . وقال انهذه المادة القوية الاشعاع تتلف خلايا السرطان في الجسم بدون ان تؤذي الأغشية الطبيعية في جسم الانسان .

★ اعلن الدكتور هيوهير أحد أطباء لوس انجلس بالولايات المتحدة في رسالة وجها الى الجمعية الأميركية لمكافحة السرطان انه اكتشف طريقة جديدة لعلاج سرطان الرئة بأشعة اكس (مليونا فولت) ، فنجحت هذه الطريقة في شفاء خمسة اشخاص كان من المستحيل علاجهم بالجراحة .

★ دلت البحوث العلمية الأخيرة على ان النباتات البحرية تحتوي على كثير من العناصر الحيوية المفيدة وان الازوت المتوفر في هذه النباتات يشير الى وجود فيتامينات ضرورية للحياة ومنها الفيتامين (ب٢) الذي اكتشفه البروفسور اريكسون الاستاذ بالمعهد العالمي باستوكهلم .

وقد تمكنت ايطاليا من الوصول الى نتائج غير منتظرة اذ تمكنت من استخلاص العناصر من النباتات البحرية على غرار استخلاص البنيسلين وتبين انه اذا حقنت هذه العناصر في عضلات المصابين بالسرطان تحسنت حالهم مما اشاع الأمل في امكان استخدامها في علاج السرطان وربما السل كذلك .

★ اعلن الدكتور بابلوهريديا مدير مؤسسة الأبحاث في وزارة الصحة في بيونس ايرس في المؤتمر الطبي الذي عقد اخيراً في الارجنتين نبأ اكتشاف مصل ضد السرطان . وقد اعلن الطبيب المذكور انه قام بتجارب عدة لهذا المصل على بعض الجرذان فكانت النتيجة ايجابية في اربع حالات من ست وقد اعلن بعد ذلك بانه ليس كافياً لشفاء المرضى من هذا المرض الخبيث ولكنه خطوة كبرى في ايجاد العلاج الواقي منه .

★ اكتشفت في مستشفى البحرية الأميركية بمدينة سانت الباز في ولاية نيويورك ابر تنقل الدواء الاشعاعي الى داخل الأورام السرطانية ثم تذوب في سوائل الجسم .

وافضلية مثل هذه الابر على بذور الراديوم او حبات الكوبلت التي لا تذوب هي ان المريض لا يضطر الى اجراء عملية جراحية لازالة البذور او الحبات . ومن فوائد هذه الابر مقدرتها على نقل الاشعاع للموقع المعين باقل حد من الضرر للانسجة السليمة المجاورة له .

وتصنع الابر بتذويب خليط من ثاني اوكسيد الجرمانيوم وفوسفات التيتانيوم بحرارة عالية . وبالامكان صنع فوسفات التيتانيوم من الفوسفور الاشعاعي الذي ينقل النوع المطلوب من الاشعاع الى الأنسجة الخبيثة ويدوم طوال المدة المطلوبة (١٤ يوماً) ولا ضرر من استعماله .

★ يقول العلماء الأميركيون ان هناك سلسلة من المواد الكيماوية الجديدة تدعى « نيتروفورنس » هي اعظم الاكتشافات الطبية منذ ظهور البنسلين . وتستخرج النيتروفورنس من البقايا الزراعية كعرانيس الذرة وقشور الشوفان .

ولقد اثبتت هذه العقاقير الجديدة فعاليتها الشديدة ضد عدد كبير من الأمراض المعدية وتجري الآن دراسات دقيقة لتحديد فوائدها في لائحة طويلة من الأمراض بما فيها السرطان ومرض النوم .

وهي تختلف عن عقاقير الانتي بيوتسك والسلفاناميد ، في كونها لا تحدث اي ردة فعل جانبية واهم من هذا هو ان الجراثيم لم تستطع حتى الآن اكتساب الحصانة التي تحفظها من هذه العقاقير .

★ افاد المركز التذكاري للسرطان والأمراض المتعلقة به في مدينة نيويورك نبأ استنباط علاج جديد للمصابين بسرطان الدم (اللوكيميا) يتيح للمرضى به العيش بضع سنوات اخرى .

ويسمى هذا العلاج الجديد (اميركا بتوبورين) وقد اختصر مكتشفه اسمه فجعله (ام . بي) . وليس هذا الدواء علاجاً ناجعاً ، ولكنه اول دواء في سلسلة من العلاجات الجديدة يقول عنها الأطباء انها تعطيهم سلاحاً جديداً يساعدهم على مكافحة اللوكيميا .

وقد جرب هذا العلاج في ٤٥ طفلاً مصاباً بهذا الداء فقضى على المرض مؤقتاً في ١٤ طفلاً وحسن حالة ١١ طفلاً آخر . وقد ظلت تأثيراته المفيدة مستمرة مدة ستة اشهر .

★ صرح الطبيبان افيلين كنوف والبرت باور من كاليفورنيا ان التهاب الدماغ الذي يدعى احياناً « مرض النوم » يمكن معالجته بلقاح التيفوئيد وقد يسبب هذا المرض ، الذي ينتج احياناً عن الحصبة ، الموت او الجنون .

وبعد ان لقح الطبيبان ما يقرب من ٥٠ مصاباً بالتهاب الدماغ بلقاح التيفوئيد قالا ان عودة المصابين بحالات شديدة الى حالتهم الطبيعية كانت تدعو الى « الدهشة » .

★ عرف ان عدداً كبيراً من مشاهير الرجال ومن بينهم يوليوس قيصر ونابوليون كانوا مصابين بالمرض العقلي الغريب المعروف بالصرع . وعلى الرغم من ان عقاقير متعددة اعدت لمساعدة الذين يقاسون ويلات هذا المرض وآلامه ، فان العقار الناجع الفعال لم يكتشف الا قبل سنتين او ثلاثة سنوات . والاسم التجاري لهذا العقار هو « ميسولين »

وقد قام الدكتور بونكالو والدكتور ج. س آرثز الكنديان باختبارات واسعة على هذا العلاج ونشر تقريرهما في صحيفة الجمعية الطبية

الكندية . وقد اصبح العقار المذكور متوفراً على نطاق دولي وقد كان واحداً من العقاقير الكثيرة التي اثارت الاهتمام في خلال المعرض الطبي الأخير في لندن .

★ يستخدم الجراحون في الولايات المتحدة نوعاً من الشرايين الاصطناعية الخاصة تحل محل الشرايين الطبيعية في اداء وظيفتها. ويقول علماء الجراحة ان هذه الشرايين الاصطناعية تعيد الرئة الى شكلها الطبيعي تماماً .

ولا تزيد وزن الشرايين الاصطناعية على الطبيعية ، كما ان لها نعومة الشرايين الطبيعية ايضاً وتتألف الشرايين الاصطناعية من آلاف الثقوب الصغيرة المشابهة للشرايين الطبيعية تماماً . وهي بيضاء اللون لا رائحة ولا طعم لها .

★ قام الدكتور انجل كيز بابحاث لمعرفة اسباب الوفاة بالنوبة القلبية ، وهل يرجع السبب الى السمنة ام الى زيادة وزن الانسان بالنسبة لغيره من الناس العاديين .

وقال انه اجرى عدة ابحاث على حالات عديدة ، فتبين له انه لا علاقة للسمنة بمرض القلب، وان ما يشاع عن وجود علاقة بين الاثنين ، ليس الا اختراعاً من شركات التأمين ، وقد بنت هذا الاختراع على الرأي القائل ان البدانة تؤدي الى رفع ضغط الدم ، وهذا بالتالي قد يؤدي الى التعرض للنوبات القلبية .

وفي رأي الدكتور انجل انه ينبغي دراسة الغذاء الذي يتناوله الانسان ومراقبة الجهد الذي يبذله ونوع العمل الذي يمارسه ، لمحاولة معرفة السبب الحقيقي لمرض القلب ، بعد ان تبين انه لا علاقة للسمنة به .

ويشغل الدكتور كيز منصب مدير معامل الصحة العامة بجامعة مينيسوتا ومما يذكر ان تصريحاته قد قوبلت بكثير من الارتياح في الولايات المتحدة ، حيث يزيد عدد من يموتون بالنوبات القلبية على غيرهم في أي بلد آخر من بلاد العالم .

★ اذا كنت من المدخنين ، فان انفجارات ذرية صغيرة يمكن ان تحدث بصورة مستمرة في رئتيك، وهذه الانفجارات باستطاعتها ان تؤدي الى سرطان الرئتين .

هذه هي احدث شكوك العلماء المختصين بمرض السرطان فهم يقولون ان الانفجارات الذرية تطلق أشعة « بيتا » وهذه التغييرات يمكن ان تؤدي الى مرض السرطان .

اما الذي برهن اخيراً على حدوث الانفجارات الذرية في الرئتين بعد التدخين فطبيب بريطاني يدعى الدكتور د . ك . موكفاني . ولقد قال العالم في المجلة الطبية البريطانية « دي لانست » ان فحص رماد السيجارات والسيجار يحتوي على كمية كبيرة من أشعة « بيتا » .

ويعتقد الدكتور مولفاني ان النشاط الإشعاعي من مواد كيماوية ذات اشعاع آيسوتوب من مادة البوتاسيوم العادي في التبغ لكنه يعترف بان كمية الإشعاع ضئيلة جداً . وهي تنبعث من ذرات بوتاسيوم مشعة تتخلل الى الشجرة الرئوية . وعليه فان الرئتين تتعرضان ، بعد التدخين ، لضرب الاشعاع الذري .

هذا ، وتقوم الآن « جمعية السرطان الأميركية » وغيرها من معاهد الأبحاث في هذا الحقل بدراسة تقرير الدكتور مولفاني وقد علق ناطق باسم جمعية السرطان الأميركية فقال : لقد ارتفعت نسبة المصابين بسرطان الرئة ارتفاعاً كبيراً جداً في السنوات الخمسين الماضية ، وهو ارتفاع يوازي الزيادة في عدد المدخنين

ولهذا فان الأطباء ثابروا ، لمدة طويلة ، على دراسة المواد الكيماوية في التبغ . وعلى الرغم من انهم وجدوا ان قطران السيجارة يسبب مرض السرطان في جلد الحيوانات ، فانهم لم يقفوا على ما يثبت ان قطران السيجارة يسبب مرض السرطان في الإنسان . اما الآن فربما اثبتت ابحاث الدكتور مولفاني على ان المادة القطرانية في السيجارة ليست هي المادة الشريرية وانما النشاط الاشعاعي .

★ من هي الفئات الاجتماعية والمهنية التي تتعرض اكثر من غيرها لأمراض القلب ؟ هذا ما اجاب عليه تقرير وضعه بعض الأطباء الانكليز . وقد اذيعت النتائج التي تلفت النظر في آخر عدد أصدرته مجلة « ذي لانست » .

ويشير التقرير بأحرف بارزة ، الى ان تقسيم العمل والحياة الهادئة والنقص في الحركة الجسمية التي يربح منها العمال الاختصاصيون والموظفون وأعضاء المصالح الحرة هي في طليعة الأسباب التي ساعدت على زيادة نسبة امراض القلب .

وبالعكس ، فان مراقبي سيارات الاوتوبيس الإنكليز الذين يقضون حياتهم في الصعود والهبوط من السلالم ، هم اقل اصابة من السائقين الذين يقضون حياتهم امام مقود السيارة. وكذلك قاطعو التذاكر الذين يتحركون دائماً ، فانهم يملكون قلوباً سليمة وقوية ، بينا يعتبر الموظفون والكتبة معرضين للاصابة اكثر من العمال .

ولا يعتقد المحققون الانكليز بان زيادة عدد الاصابات في القلب في اوساط الطبقات الاجتماعية الرفيعة ، تعود الى تقسيم اعمالهم الفكرية ، والى المسؤوليات التي يتحملونها والى تعب اعصابهم . ولكنهم يعتقدون بان السبب يعود الى نقص في الغذاء بالنسبة للجهد الجسدي الذي يقومون به .

وتقول « ذي لانسث » ان الذين يعملون جلوساً ، لا يفيدهم الذهاب الى الملاعب واراضي الجولف والقيام بالتمرينات ، لأن الرياضة غير مفيدة الا اذا كانت تجري بانتظام في عهد الشباب

★ اكتشف الكيمائيون الاستراليون ان استخلاص المادة التي يفرزها كبد حيوان الكونغورو هو أسهل من استخلاص مادة الكبد عند البقر ، وهي تستعمل بصورة عامة في جميع البلدان كأساس للحصول على الدواء العجيب ضد الروماتزم . وللوصول الى ذلك لا بد من اجراء ٣٢ عملية متتابعة في كبد البقر ، بينا لا يتطلب استخلاصها من كبد الكونغورو سوى نصف هذا الجهد . ويفكرون الآن بتربيـة كميات كبرى من الكونغورو .

★ جاء في صحيفة جمعيـة اطبـاء الأسنان الأميركية وصف مسهب للحصول على صور أشعة اكس دون الحاجة الى استعمال آلات الأشعة السينية في التطبيقات العملية للطاقة الذرية. ففي هذا الاستنباط توضع عصا خشبية ملبسة بمادة اشعاعية ازاء الفك او السن اما داخل الفم او خارجه وهذه العملية تخرج صورة على فيلم في الوضع الملائم

★ اكمل الدكتور ف. د. دودريل من ديترويت باميركا قلباً آلياً جديداً انقذ حيـاة اشخاص عديدين . وقد عرض هذا الجهاز المصنوع من الفولاذ النقي والمطاط والزجاج في اجتماع عقدته مؤخراً الجمعية الطبية الأميركية .

ويستعمل القلب الآلي لنقل الدم من الجهة اليسرى الى الجهة اليمنى من القلب وبالعكس لكي لا يحتاج الى المرور داخل صمام القلب الذي يجري الجراح العملية فيه . وصنع القلب بصورة تمكن من تطهير اجزائه التي يمر بها الدم ، وكي لا يكون ضغطه شديداً اثناء ضخ الدم ويدمر خلاياه .

★ منذ عام ١٩٣٥ ، قدر بعض العلماء ، ومنهم ماسون وكندال ، ان افرازات الكلي تولد «هرمونة» نشيطة ذات اثر بالغ في تحويل الأملاح المعدنية والماء . ولكنهم ما كانوا يعلمون هل ان ذلك هو مجرد تركيب كيماوي خاص ، او هو امتزاج بعض المواد المعروفة ذات الفعالية القوية.

الا انه لمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي الثامن لأمراض الروماتزم عام ١٩٥٣ ، صرح البروفسور «ريشيستاين»... الحائز على جائزة نوبل، كما صرح الدكتور « ويتستاين » في الإجتماع السنوي العام الذي عقدته الجمعية العلمية السويسرية في «لوغانو» بان ثلاث فرق من العلماء الذين يعملون بتعاون تام في جامعة « بال » وفي شركة « سيبا » ، وفي مستشفى ميدلسكس في لندن ، قد توصلوا الى فصل هذه الهرمونة وتجميدها بشكل حبيبات نقية خالصة .

وكان العلماء الانكليز قد توصلوا الى تحسين التجارب البيولوجية والكيماوية الى حد يمكن معه مراقبة التغييرات التي تطرأ على المادة الجديدة ، مراقبة دقيقة في اثناء التحويل .

ولفصل هذه المادة وجب استخدام عدة اطنان من كلى البقر ، مرات متكررة للحصول على ١٠ الى ١٤ مليغرام من المادة الجديدة من اصل الف كيلوغرام من الافرازات الكلوية .

وحتى اليوم تعتبر مادة الـ déxoxy corti-costérone التي اكتشفها ايضاً البروفسور ريشستاين ، المركب الأكثر فعاليـة في حقل الاختبار ، وهي التي اتاحت في حقل الطب انقاذ حياة الكثير من المصابين بداء « اديسون » .

وتبين من الاختبارات البيولوجية والاحصاءات الطبية التي اجريت على الكلاب والجرذان في مختبرات « سيبا » ان هـــذه الهرمونة اعطت نتائج افضل ٥٠ الى ١٠٠ مرة من مـــادة الـ déxoxy cortérone

والمادة الجديدة التي اطلق عليهـا اسم « الكتروكورتين » ذات اثر ابلغ من اثر بقية الهرمونات الكلوية المعروفة على الاطلاق .

★ تجري في الوقت الحاضر تجارب ناجحة في طب الأسنان بفرنسا وذلك باستبدال الأسنان المخلوعة بغيرها من الأسنان الصناعية. وتقوم هذه المحاولات على غرس سن اصطناعية في الفك مكان السن الطبيعية . وتجري هذه العملية دون تعليق السن الجديدة مع الأسنان المجاورة لها او ربطها باحد الجسور البارزة ، بحيث يخيل للاختصاصي الخبير ان السن الصناعية ما هي الا سن طبيعية ولا يمكن ان يفرق بينها وبين بقية اسنان الفك ، الا اذا اجرى فحصاً دقيقاً لثة .

ويعود هذا التقدم الهائل في طب الأسنان الى الإمكانيات المدهشة التي تتكيف بها مادة البلاستيك. وقد جرت هذه العمليات الناجحة في مستشفى بوجون تحت اشراف الدكتور جيرار موريل وأذيعت معلومات ضافية عن هذا الموضوع ، بمناسبة المؤتمر السنوي الذي عقدته جمعية اطباء الأسنان بفرنسا، وتبين من النتائج ان نسبة الفشل في هذه العمليات كانت ٥ او ٦ بالمئة فقط .

★ تجري تجارب في بريطانيا لاستخدام «الفلوريد» وهو مركب يخفف من تسوس الأسنان باضافته الى مياه الشرب المستخرجة من الآبار في بعض المناطق

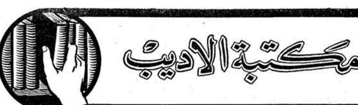
وقد اوصت باجراء هذه التجارب بعثة طب الأسنان التي اوفدت الى الولايات المتحدة وكندا في العام الماضي لدراسة مدى نجاح عمليـات « الفلوريد » التي طبقت هناك .

★ تلقت اكاديمية العلوم في باريس مذكرة من العالمين الكبيرين ابريتا وبوراليه ، اشاراً فيها الى انه بعد التحليل اليومي لجو العاصمة الفرنسية هذه السنة ، تبين لهما في فترتين طويلتين ، وجود غبار ذري فيه . والفترة الاولى تقع بين ٢٤ مارس و ٢٥ يونيو ، وخلالها وقعت الانفجارات الذرية المتسلسلة في الولايات المتحدة ونافادا .

اما الثانية فقد امتدت من ٣٠ اغسطس الى ١٧ سبتمبر ، وقد رافقت الاختبارات التي اجراها الروس . واضاف العالمان قولهما : « لقد راقبنا ايضاً الاشعاع في المياه التي كان يشربها الباريسيون كل يوم ، فتبين لنا ان مياه المدينة كانت اقل اصابة بالإشعاع من مياه الأمطار في هذه الفترة » .

وقدم « العالم الطائر » هوبرت غوارينغ من جهته بلاغاً الى الأكاديمية بانه اكتشف مجدداً في ١٠ و ١٧ و ٢٤ و ٢٩ و ٣٠ اكتوبر وفي ٣ نوفبر ، في الجو الأرضي ، فوق قمة جبل «بوي دي دوم » موجات من الغبار الإشعاعي ترافقه احياناً رواسب مقطرة . وبعد فحص كميات من الهواء والثلج ، تبين انها تتضمن ذرات ذرية مختلفة العدد ، ولم يحدد مصدرها .

واذا كانت هذه الموجات نتيجة التجارب الذرية الأخيرة التي وقعت قبل اجراء هذه الملاحظات ، فيمكن تقدير سرعة الغيوم الذرية بمعدل عشرين كيلومتراً في الساعة حول الأرض. اما اذا كانت نتيجة اعمال سابقة، فان سببها يعود الى «الاحتياط الذري » الموجود حول الأرض .



شعاع من نور

لمحمد اديب العامري ـ مجموعة قصص ـ ٩٤ صفحة
منشورات دار المعارف بمصر

صدر في الآونة الاخيرة عن دار المعارف في مصر كتاب يحتوي على مجموعة اقاصيص ، بعضها موضوع والبعض الآخر مترجم . وهو للاستاذ محمد اديب العامري . وقد جعل ترتيب الاقاصيص بحيث يكون بعد كل قصة موضوعة ، قصة أخرى مترجمة . فكان هناك خمس اقاصيص من وضع الاستاذ العامري ، وخمس لأدباء غربيين مشهورين ، هم : مكسيم غوركي ، ووليم ساروبان ، واوليفر كولدسمث ، واميل زولا ، وقسطنطين ترنييف . وعناوين اقاصيصهم بحسب هذا الترتيب ، كما يلي : [ليلة في الخريف ، الحرب ، الجندي المشوه ، ملاك الحب ، يوم الميلاد] . اما اقاصيص الاستاذ العامري الخمس فهي : [شعاع النور ، فقير ، صوم دائم ، بين الحرمين ، ثراء وشرف] .

وقد قدم المؤلف لهذه المجموعة بمقدمة قصيرة جداً ، تبين نزعته الاجتماعية الواقعية ، وايمانه بأن واجب الفكر ان يجعل اهتمامه منصباً على المجتمع ، يصور احواله السيئة ، ويصف ادواءه وعلاجاته . وهو يقول في ذلك :

« إن الحياة كما درجت الى اليوم ، يمثلها اشخاص هذه الأقاصيص اكثر مما يمثلها اي شيء آخر . وهؤلاء في الغالب قد انحدروا الى مستوى موئس من الحياة ، ولكنهم لا ييأسون ، لأن هناك شعاعا من النور ينظم سيرة الحياة منذ كانت . وهذا الشعاع هو الذي يومض في نفوس هؤلاء الناس الذين اقدمهم اليك ، وأصلهم بك ، فيحملهم على الصبر والامل والنضال ورفع مستوى الحياة شيئاً فشيئاً » . .

والذي يعرف الاستاذ العامري يعرف فيه واقعيته الفكرية، واتجاهه العلمي المنظم ، ويعرف انه لا يعمل بدون هدف ، ولا يحكم بدون تركيز .

ولقد كانت مفاجأة لي ان ارى العامري يجعل اول مؤلفاته ادبياً صرفاً ، ومجموعة قصصية بصفة خاصة ، وقد اعتدتُ ان أقرأ وأسمع له ابحاثاً ومحاضرات في التربية وفي علم النفس بشكل خاص .

والذي يطالع هذه المجموعة القصصية التي جعلها العامري اول مؤلفاته ، يرى انه اختارها بشكل خاص لتعبر عن بؤس الحياة في الناس ، ولتثير في القارىء شعور التمرد والثورة على هذه القسمة التي يُبتلى بها القسم الاكبر من ابناء الحياة . وهذا هو ما يهدف اليه العامري من مقدمته ، ومن اقاصيصه ، وإن لم يصل بأشخاصها انفسهم الى التمرد والثورة ، او الى محاولة تغيير واقعهم المؤلم ، بل جعلهم يمضون في حياتهم بسهولة ، هي سهولة الواقع نفسه . فكأنك لا تقرأ اقاصيص ذات اهداف معينة ، ولكنك ترى واقعاً من واقع الحياة ، بدون تزويق وبدون تهاويل .

ولعل اكثر ما وفق اليه العامري في مجموعته هذه هو اختيار الأقاصيص المترجمة ، وترجمتها . فقصة مكسيم غوركي عنيفة وعميقة جداً في عنفها وقسوتها الواقعية ؛ لا يملك القارىء ان يشعر ، لدى قراءتها ، بالثورة الجامحة لهؤلاء الناس الذين يبحثون عن طعامهم في براميل النفايات ، ويناموت في العراء تحت البرد اللاذع القاتل بثيابهم الممزقة .

وقصة قسطنطين ترنييف تستنزف الدموع الحارّة للوالدين اللذين يحتفلان بعيد ميلاد ولدهما ، وكل منهما يعلم ويكتم عن رفيقه نبأ وفاته في ساحة الحرب . حتى اذا ما انتهت الحفلة ، كانت دموع الأب هي التعبير العميق عن معرفته للنبأ القاتل ، وتجلد الأم المذهل هو الدليل على انها كانت تكتم الخبر عن زوجها لئلا يقتله الحزن .

اما قصة اميل زولا ، وعنوانها (ملاك الحب) فهي غريبة عن جو المجموعة ، فهي من الاقاصيص التي تطفح بالخيال الشعري العذب الرائق ، وتصور جمال الحب وصفاءه وروعته . وهي ـ في رأيي ـ أجمل واعذب اقاصيص المجموعة ، وقد

كانت ترجمتها موفقة اروع توفيق .

واما قصة (الجندي المشوّه) ، ففي عنوانها ما يكفي لمعرفة المأساة التي يعيش فيها صاحبها . وهي لأوليفر كولدسمث .

وحين نجيء الى الاقاصيص التي وضعها الاستاذ العامري نجد انها منتزعة من نفس البيئة الاجتماعية التي تعيش بالحرمان ، ومع الحرمان بصيص الامل الذي كثيراً ما يكذب ويجلب العذاب .

فقصة (شعاع النور) تدور على فكرة جميلة ، وتصور واقعاً قاسياً لأسرة مؤلفة من ام وابنها وابنتها ؛ وفي قسوة الواقع تعيش الأم على لذة الحلم الذي رأت فيه شعاعاً من النور يملأ الافق ، وفيه صورة ابنها الذي ما يزال طالباً . فعاشت تعلّق عليه آمالها ، وماتت بين يديه تغمره برضاها وحنانها .

وقصة (فقير) ومثلها (صوم دائم) كل منها صورة اجتماعية مؤثرة ؛ وما اكثر وقوع امثالها في الحياة ، وما اكثر الذين يتمنون لو تكون الحياة صوماً دائماً ، ليستريحوا من بعض تكاليفها التي لا قبل لهم بها .

وتبقى هناك قصتان اخريان ، احداهما مترجمة ، وعنوانها (الحرب) والثانية موضوعة ، وعنوانها (ثراء وشرف) ، يجب ان اعترف بأنني لم اتمكن من فهمها كما يجب ، او أنني لم اشعر بالانسجام معها كما يجب ، ولذلك أتجاوز عنها في هذه المراجعة .

على انني وقد وصلت الى هنا أرى أن أذكر ما عنّ لي من ملاحظات اخرى على هذه المجموعة . واول هذه الملاحظات انني كنت أودّ لو ان الاستاذ العامري جعل للمجموعة عنواناً غير عنوان القصة الاولى منها . فالواقع ان هذه القصة ليست اقوى ما في المجموعة ، واقوى منها بكثير قصة (ليلة الخريف – لغوركي) و (ملاك الحب – ازولا) و (يوم الميلاد لترنييف) .

ولستُ أدري اذا كان لقصة شعاع النور أثر نفسي خاص جعله يقدّمها على غيرها ، ويختار عنوانها للمجموعة كلها ، ولكنني اعترف بأنني وجدتُ فيها غير قليل من الضعف الفني . فمن ذلك ان الفتاة (جميلة) التي عرفنا في الصفحة ١٤ ان فقرها « يقف في طريقها الى حياة زوجية هانئة تسعد بها هي وامها » رأيناها فجأة وعلى غير انتظار « تزف الى شاب غني في المدينة ينتمي الى واحدة من اعرق العائلات » . وقارىء القصة لا يتوقع شيئاً من هذا قبل ان يرى القصة تقرره ، ويشعر حالاً بمفاجأة غريبة لحدوثه ، لا تنسجم مع سياق القصة .

ثم ان القصة نفسها كان يجب ان تلفظ آخر عباراتها مع آخر أنفاس الأم المحتضرة ، ولذلك يشعر القارىء بأن هناك ثلاثة اسطر في نهايتها كانت زائدة ولا حاجة اليها .

وملاحظة اخرى على المجموعة ، فقد كنتُ أودّ لو ان الاستاذ العامري جعل للاقاصيص الموضوعة كتاباً مستقلاً ، وللمترجمة كتاباً آخر . فالواقع ان اجتماعها كلها في كتاب واحد جعل الاقاصيص المترجمة تطغى بقوتها وبراعتها على الموضوعة بشكل بارز جداً ، يبدو معه ضعف الحبكة القصصية في الاقاصيص الموضوعة . ولعل هذا ما كان يقع لو ظهرت كل من المجموعتين وحدها .

واما الملاحظة الاخيرة ، فهي أن القارىء لم يكن يتوقع من الاستاذ العامري ان يقصر اقاصيصه على مجرّد التصوير للواقع كما هو ، وإنما كان يرجو ان يجد فيها محاولة لاظهار الرغبة في تغيير الواقع بوسيلة ما . فهذا ما تعنيه العبارة التي اوردها في المقدمة ، وهي حول ما يجب (ان ينصاع اليه هذا الباب الادبي من مثل وهدف في هذه الفترة الراهنة من تاريخ الدنيا) .

وان تصوير الواقع بهذا الشكل الذي فعله العامري ، له تأثيره في النفس ، بدون شك ، ولكن محاولة ابراز الهدف في القصة ، لاصلاح الواقع او تغييره ، لها تأثير اقوى واعمق .

ومهما تكن الملاحظات الانتقادية ، فإنني اعتبر هذا الكتاب الادبي ، يقدمه مثل الاستاذ العامري ، المعروف باتجاهه العلمي ، كسباً للأدب يستحق التسجيل .

عمان **عيسى الناعوري**

امين الريحاني — لمارون عبود

في بطون الليالي — لرشاد دارغوث

البساط السحري او الرادار — لعبد السلام فهمي

سلسلة اقرأ — منشورات دار المعارف بمصر

تدخل سلسلة « اقرأ » في عامها الثالث عشر ، وقد صدر منها حتى الآن ١٣٣ كتاباً ، تتناول مختلف الوان الادب والعلم ، وموضوعة باقلام كتاب البلاد العربية .

والسلسلة هذه تؤلف اليوم مكتبة قائمة بذاتها ، ولا تخلو من مدرسة او بيت على وجه التقريب .. ومما لا ريب فيه ان (اقرأ) عملت كثيراً على بث رسالة الفكر في الجمهور العربي ، وبأيسر طريقة ممكنة .

وقد اصدرت دار المعارف مؤخراً ثلاثة كتب في هذه السلسلة هي (امين الريحاني) للاستاذ مارون عبود، و (في بطون الليالي) للاستاذ رشاد دارغوث. و(البساط السحري او الرادار) للاستاذ عبد السلام فهمي . وسنتحدث هنا عن هذه الكتب .

١ ــ امين الريحاني لمارون عبود

تذكرني مطالعتي لكتاب « امين الريحاني » للاستاذ مارون عبود ، بالتقائي بفيلسوف الفريكة سنة ١٩٣٩ في بيروت ، وكان قد عاد من المغرب الأقصى وهو معجب بنظام الجنرال فرنكو .. ويعطف على المعسكر المعادي للحلفاء .. وكنت وقتئذ قد اصدرت دراسة علمية في الاسلام والنازية ورغبت في ترجمتها الى الانكليزية .. فقلت ما من شك بان اديب اللغتين هو لها ، واطلعته على الفكرة فابتسم وقال: « لا استطيع ذلك لانني منهمك في وضع كتابي عن المغرب ، ثم انني مريض » .

وبعد فترة من الصمت ابتسم ابتسامة عريضة وقال : ما الذي حملك على وضع هذه الدراسة ؟..

قلت ممازحاً : للحصول على وسام بعد النصر !..

فضحك وربّت على كتفي وقال : أي انت بحاجة الى اوسمة ..

ولما افترقنا قال لي رحمه الله: لا تنس بان نداء هايل هتلر عند الالمان يوازي نداء الله اكبر عند المسلمين !..

وتولى ترجمة كتابي احد المستشرقين الانكليز في لندن، وقدمه الجرّاح الهندي الشهير ، ومستشار وزارة الخارجية البريطانية في شؤون الهند السير حسن سوهراوردي .

وكتاب الاستاذ مارون عبود في الريحاني رائعة ادبية فلا تكاد تبدأ بمطالعته حتى تجد نفسك مدفوعاً الى الاستزادة قبل الطعام وبعده ، وقبل النوم وعند النهوض في الصباح الباكر .

والناقد الكبير اسلوب مشوق في الوصف ، والحديث ، وهو يميل بطبعه الى المفاكهة والمداعبة .

واستطاع الكاتب ان يرسم لنا بريشته الرشيقة حياة الريحاني الزاخرة بالالوان والظلال .. فحدثنا في ١٤١ صفحة عن ترجمة حياته ، وعنه ككاتب وشاعر انكليزي ، والاقوال العامة فيه، ورأيه في لغة الضاد ، وامين الرحالة ، ورسول الوحدة العربية، ومواقف امين في الانتداب ، ووصيته وصلاته ، والريحاني الكاتب ، والمجاهد ، وتلخيص

الآراء التي اودعها في المحالفة الثلاثية ، والريحانيات ، وملوك العرب ، وقلب لبنان ، والمغرب الأقصى .

« والريحاني هو ابو الشعر المنثور في الأدب العربي ، وهو الذي مهد الطريق لجبران وعبّدها » .

ويتواضع الاستاذ عبود ويقول : « وتدارسنا ادبه تلاميذ » .

ثم يقول : « والغريب من امر هذا الرجل انه صريح قاس يشتم سامعيه ولا يبالي كأنه نبي سلطان » .

ثم يقول : « وامين حتى في اجتماعياته عاطفي المنطق كرجال الدين يخاطب الوجدان لا العقل .. فكان يستولي على الجماعات ويقنعهم الى حين في غفلة من الملكات والعادات والتقاليد ، حتى اذا تحول عن تخومهم لحقت به تعاليمه الى ابرشية الفريكة !.. »

وهكذا ينقلك ابو محمد من خاطرة الى خاطرة في الريحاني وتعاليمه فتشعر بدفء ولذة ، ويثير في ذهنك الكثير من الاسئلة وعلامات الاستفهام .

حقاً ان الكتاب لا يعتبر دراسة بالمعنى الكامل ، ويرجع السبب في ذلك الى ضيق المجال ، غير انه ولا ريب تمهيد قوي لدراسة دقيقة في حياة أديب كان سيد المنابر في البلاد العربية خلال نصف قرن .

كنت في الصيف الماضي في ضيافة الاستاذ ألبرت الريحاني ، في قصر الفريكة البديع ، وعلمت منه انه سيفتتح متحفاً في القصر يجمع فيه آثار الفقيد ، وان الفنان اللبناني يوسف الحويك سيضع لوحة لفيلسوف الفريكة لتثبت فوق مدخل المتحف .

والاستاذ ألبرت يحث الادباء العرب على اختلاف طوائفهم ونحلهم ، ان يشيدوا لهم منازل في الفريكة .. وقد استحسن الادباء هذه الفكرة — وفي طليعتهم مارون عبود — لكنهم يبتهلون الى الله ان يمنّ عليهم بشركة رأسمالية لتبني لهم المنازل وتتقاضى اثمانها من الناشرين !..

٢ — في بطون الليالي

مما يحمد عليه الاستاذ رشاد دارغوث انه لم يسمح لوظيفته في ديوان رئاسة الجمهورية ان تحول دون تأدية رسالته الادبية ، فهو الموظف الامين والاديب المنتج ، وفي ذلك لعبرة لكثير من الادباء الموظفين .

(في بطون الليالي) مجموعته القصصية الثانية بعد (على دروب الحياة) .. فقصة « بلاد الافاعي » تمثل صورة شخص يهودي اجنبي ، جاء لبنان وصار يتلاعب باسمه وبجنسيته ودينه . ويلجأ الى احقر الوسائل لاشباع غريزة الاثراء .. وفي القصة هذه نزعة انسانية للدفاع عن الضعاف والمساكين .

وقصة « نهاية طاغية » تقع حوادثها في مدينة سلهباد ، اي بيروت ، وبطلها مهرج دجّال من اثرياء الحرب العالمية الثانية . وينتهي امره بسقطة خبأها له الزمن .

و « رسالة قصيرة » هي قصة الطير الذي كان الالمان يستخدمونه في اعمال الجاسوسية في الشرق الادنى خلال الحرب الماضية .

و « نصيحة بلا ثمن » هي قصة الموظف اللئيم المتعجرف الذي افاد من نصيحة شخص احسن اليه .

و « قضية رابحة » قصة تتحدث عن عصبة الاصحاب لمكافحة الذباب ، وكيف طهروا مدينتهم من اسباب القذارة والامراض الفتاكة .

« يوم انكشف الغطاء » ، واسمها الاصلي « دادا » كان الاستاذ دارغوث اذاعها من محطة الشرق الادنى في سنة ١٩٤٣ هي قصة المربية الزنجية حبيبة الاطفال .

و « تكريم » هي قصة القبضايات .. و « رجل بلا قلب » هي صورة بشعة للرجل الاناني .. و « تجارة خاسرة » هي قصة طبيب يروض نفسه على خيانة الامانة المعلقة في عنقه .

واخيراً مسرحية « برأته المحكمة » وهي نقاش في الفردية والاشتراكية ، وحق الحرية والحياة ، وحديث عن الاعمال الخيرية والمؤسسات الاجتماعية ، وعنصر النقاش فيها أهم من عنصر التمثيل .

والقاضي يميل الى استعارة اسماء الاشخاص واماكن الحوادث فيخيل للقاريء انه يتحدث عن امور لا تقع في لبنان ، والواقع ان حوادث قصصه لبنانية في الصميم .. فسلهباد هي بيروت ، وحمار ازاد هو زيد من الناس .. والعبرة ليست في الاسماء .

وللاستاذ دارغوث طريقته الخاصة في القصة ، ويدرك القاريء ما يريد قوله او تصويره دون صعوبة ، وهو على الجملة

أخلاقي (مورواليست) ، يحارب الشر في الانسان ، ولا تخلو قصصه من عظة او عبرة .

اما مقدمة الدكتور طه حسين فهي وان كانت غير معدة لهذه المجموعة القصصية لكنها تتضمن رأي الاديب الكبير في الاستاذ دارغوث كأديب وقصصي .

٣ ـ البساط السحري او الرادار لعبد السلام فهمي

والكتاب الثالث من سلسلة اقرأ هو (البساط السحري ـ الرادار والراديوفزيون) للاستاذ عبدالسلام فهمي.

فأول ما يتهيأ للقارىء ان الكتاب علمي جاف ، غير ان الكاتب يتغلب على هذه الناحية فيستهوي القارىء ثم يستدرجه الى متابعة البحث مثيراً امامه خفايا الرادار صورة بعد صورة .

فيقول له في مستهل الكتاب : « ما هو الرادار ؟ .. تعال معي يا اخي نذهب الى سفح الجبل ثم ناديني هنالك باعلى صوتك فماذا انت واجد ؟ .. أفلا تسمع صوتك وهو يرتد اليك من الجبل؟. فلنسم هذا الانعكاس « بالرادار الصوتي » .. اما انعكاس الاشعة الضوئية فهو الراديو، او الكشف اللاسلكي».

ويروي الكاتب معلومات طريفة جداً بصدد العلاقة القائمة بين الرادار والخفاش.. لقد كان الخفاش مفتاح الطريق لكشف الرادار . فهذه الطيور الثديية تسترشد في طيرانها خلال الظلمة الحالكة بانعكاس صريرها من الجدران ، فيقود زمامها « الرادار الصوتي » ، وعلة عـدم استماعنا لصرير الخفافيش انما يرجع الى صدوره منها في صرخات ثلاثية (تات ـ تات ـ تات) بمعدل ثلاثين صرخة في الثانية ذات ترددات تفوق ٥٠ الف ذبذبة !..

فالرادار هو شعاع كشاف يدور ضوؤه في الظلام فيكشف امامه كل ما يعترضه من اشباح ، لان اشعاعات الضوء قـد صدت وانعكست امام العين .

والرادار هو الذي انقذ انكلترا في الحرب الماضية .. وقد حاول انقاذ الاميركيين في بيرل هاربور لكن عامل الرادار الذي رأى الطائرات اليابانية وهي على بعد ١٣٠ الف ميل ، لم يرد ان يصدق انها طائرات معادية ، فالتزم الصمت وكانت تلك الضربة الكبرى .

كما ان الرادار هو اول من كشف الطائرة التي كانت تقل رودلف هيس الى انكلترا ، فما ان حطت في ولاية دوق اوف هاملتون حتى كانت الشرطة بانتظارها .

فالرادار هو موجة ضوئية وارتداد صداها .. وهو موجات كهربية تصدر في هيئة نبضات القلب لا تستغرق من الوقت اكثر من مليون من الثانية .. وقـد ارسلت موجات من الرادار الى القمر وعادت خلال ثانيتين ونصف الثانية .

وهو يتنبأ اليوم بالتغيرات الجوية ، ويقيس سرعة الاجسام المتحركة ، ويميز بين الاشياء كأن تكون جزيرة او باخرة او طائرة .. ويستطيع ان يوقع في شباكه طائرة على ارتفاع ٢٠ الف قدم وهي مختبئة في طبقات الجو ..

وللرادار مضاره ايضاً .. فقد لوحظ ان موجاته تسقط الامطار في غير مواسمها ، وتثير العواصف وتحدث القحط ، وتضعف غلة المحاصيل الزراعيـة ، وتخترق الاجسام البشرية وترفع حرارتها ، وتسبب عقماً في الرجال ! ..

وتذكرني مطالعتي لكتاب الاستاذ عبد السلام فهمي ما قرأته ذات يوم من رأي للعالم الاميركي « ما نزل » بصدد مقدار صدق الرادار فقال : « عملت في ايام الحرب الاخيرة في قسم الرادار التابـع للاسطول البحري الاميركي ، وكانت مهمتي درس الشذوذ الجوي في سير موجات الرادار .. وقد تبين لي ان طبقة الهواء الساخن تبلبل تلك الموجات وتحـدث اشباحاً خادعة علـى لوحة الرادار .. وكم من مرة خدعت البوارج بهذه الظاهرة الشاذة وامطرت المحيط بوابل من القنابل ظنا منها ان العدو قاب قوسين او ادنى ! » .

فهذا رأي خطير يبديه « ما نزل » في مهام الرادار .

ويتناول القسم الاخير من الكتاب الحديث عن التلفزيون وخفاياه وما قدمه للناس من خدمات جليلة .

ويختم المؤلف كتابه بتقديم بعض النصائح الكهربية للقارىء ويرشده الى كيفية قلي البيض فوق لوح من الثلج ، واختراع مصباح يضيء من الهواء ، وجعل الجان تردد الالحان !؟..

فكتاب (البساط السحري) هذا ممتع حقاً .

نجاتي صدقي



من وحي السبعين

في الصلة بين المغتربين والمقيمين — لتوفيق فضل الله ضعون — ٣٣٤ صفحة
من منشورات مطابع صادر وريحاني بيروت

كتاب من وحي السبعين للكاتب المهجري الاستاذ توفيق ضعون عضو العصبة الاندلسية في البرازيل فيه الكثير من خبرة السنين ، وهو بمثابة فلم خاطف لمشاهــد صورها في لبنان عقل هذا الكاتب المنتج تصويراً صادقاً جريئاً لا يعتوره سوى سرعة العرض . على انك حيث ترغب في الاستزادة ترى الكاتب يسخو على القارىء ولايبخس الموضوع حقه. وانك لتقرأ مختلف ابواب الكتاب سطراً سطراً وتثني على صحة القول فيه وعلى محاولات صادقة في معالجة الامراض الاجتماعية . يقول الكاتب الفاضل في مقدمة الكتاب :

« الآن وقد حمّ القضاء وازف موعــد تسلم المواد للتنفيذ تعاودني الخشية من ان لا اكون قد ابلغت كتابي هذا المنزلة التي رسمها لي خيالي عندما ازمعت القدوم الى لبنان بقصد اصداره ..... نعم ، لقد شعرت قبل اليوم بعجزي وعــدم اهليتي برغم انقضاء سبعة اشهر عـلى وصولي الى لبنان وتنقلي في انحائه دارساً منقباً مستطلعاً، فان التطور الذي حدث فيه أثناء الاعوام الثلاثة والاربعين التي تغيبت فيها عنه صيره في نظري بلاداً غريبة اجهل كل شيء فيهــا حتى عاداتها واساليب عيش سكانها وطبائعهم وتفكيرهم واهدافهم في الحياة .

اين ادب « محبــة » نجيب نسيم طراد و « برق » بشارة الخوري و « حرية » داود مجاعص؟ لقد أصبح كالحشمة والبساطة والرضا اثراً بعد عين وحل مكانــه الا في ما ندر ادب التسلية والرقاعة والمجون تتلهى به المعد قائلة على التغذية بمعناها السلام ، ولا بدع فدعوة الحانة مستجابة اضعاف دعوة المعبد .

وليت الغلاة يكتفون باعتبار ادب الفكاهة والرقاعة والمجون لوناً من ألوان الادب يقرّه ويرتاح اليه كل اديب ، ولكن هدفهم على ما لاح لي هو الاجهاز على كل لون سواه . وقد لا يصدق القارىء اذا قلت له ان علمين من اعلام الفكر والادب في المهجر قد جاهرا أخيراً بانهما من مؤيدي هؤلاء الغلاة وانهما قد شبعا من ادب النصح والارشاد والتوجيه ، فكأنهما اشارا بعدم الاغتسال ما دام لا بدّ بعده من الاتساخ .

... ولكن ما شكواي هـذه وامامي شكوى طه حسين ووديع فلسطين من زهــد الناس في مطالعة الادب الدسم المغذي . وأين ؟ في مصر زعيمة الادب العربي . اما في لبنان فقد راعتني عبارة سعيد تقي الدين التي ذيل بها الصفحة الاولى من نسخ احد كتبه وهي : « هذا كتاب اهديه لانني لم اجد من يشتريه » !

لغتي العربية

سلسلة جديدة في علوم اللغة — لموسى سليمان ١٥٧ صفحة
طبع على مطابع المرسلين اللبنانيين جونيه لبنان

قــدم الى المدارس اللبنانية والعالم العربي المربي المعروف الاستاذ موسى سليمان احــد اساتذة الادب العربي في الجامعة الاميركية ببيروت ورئيس الدائرة العربية بالقسم الاستعدادي في هذه الجامعة هذه السلسلة الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية وقد صدر منها الكتاب الاول وهو يشتمل عـلى مواد السنة الخامسة الابتدائية [صفّ الشهادة الابتدائية] وفقاً لمنهــج وزارة التربية الوطنية اللبنانية الاخير .

والكتاب جديد في اسلوبه ، جديد في الامثلة المنتزعة من حياة الطلاب — جديد في عرض المادة النحوية — الصرفيّة عرضاً واضحاً بعيداً عن التشويش والتعقيد .

لقد راعى المؤلف ، وقد خبر تدريس قواعد اللغــة نحو عشرين عاماً ، نقاطاً كثيرة منها ما يلي : اعتبار علمي الصرف والنحو وحدة تامة — اعتبار قواعــد اللغة واسطة لا غاية — تدريس القواعد بطريقة الاستقراء لا بطريقة التقرير — الاستغناء عن الشروح الطويلة بالاسئلة الكثيرة — عدم تدوين اي قاعدة من قواعد اللغة وعدم تكليف الطلاب في هذه السنّ حفظها — توجيه الطلاب بالاسئلة الى ايجاد الاجوبة وابتكار القاعدة .

حول العالم بطابع بريد

Round the world with a Postage Stamp.

منشورات اليونسكو — باللغة الفرنسية — ٣٨ صفحة — مطابع مام بفرنسا

من بين وظائف اليونسكو ان تقــدم للمدرسين بعض المقترحات في تدريس الشؤون الخاصة بالامم المتحدة

ومنظماتها المتخصصة . ولهذا الغرض اصدرت اليونسكو بالتعاون مع اتحاد البريد العالمي كتيباً صغيراً في ٣٨ صفحة يحمل عنوان « حول العالم بطابع بريد » ويحدث المدرسين والتلاميذ عن مهام اتحاد البريد العالمي .

واليوم ، وقد اتضحت للعالم ضرورة التفاهم الدولي والتعاون بين البشر ، رأت اليونسكو أن تقدم للنشء أمثلة مصورة تشرح لهم فيها قيمة هذا التعاون . ولما كانت المنظات الدولية المرتبطة بالامم المتحدة تعتبر صوراً حية لتطبيق هذه المبادىء الانسانية فقد فكرت اليونسكو أن تكرس لاتحاد البريد العالمي — وهو من أقدم هذه المنظات — كتيباً يصور تعاون شعوب العالم لدعم الخدمات الانسانية العامة .

ويضم هذا الكتيب ستة فصول ، وهو حلقة من سلسلة تصدرها اليونسكو تحت عنوان « نحو التفاهم العالمي » . وتتناول الفصول الستة الموضوعات الآتية على التوالي : البريد — طابع البريد — رحلة خطاب — خدمات البريد — اتحاد البريد العالمي — المكتب الدولي لاتحاد البريد العالمي — . والغرض الاساسي من وضع هذا الكتيب هو اعطاء المدرس مادة تمهيدية تيسر له تحضير دروس خاصة عن اعمال اتحاد البريد العالمي ، بحيث يدركها التلاميذ بين سن الثانية عشرة والرابعة عشرة .

مناقشات المؤتمر الدولي الثاني للعلوم السياسية

Le Bulletin International des Sciences Sociales

منشورات اليونسكو — باللغة الفرنسية — ٢٤٥ صفحة — مطبعة كريتيه بفرنسا

عندما انعقد المؤتمر الدولي الثاني للعلوم السياسية في لاهاي في شهر سبتمبر عام ١٩٥٢ درس أعضاؤه المسائل الآتية :

— هل توسي الحكومات المحلية نظمها على أسس ديموقراطية ، وهل تعمل لتقدم بلادها ؟
— أثر المذاهب والاتجاهات في التغيرات السياسية .
— على أي نحو تشترك المرأة في الحياة السياسية .
— مشاكل ومناهج تدريس العلوم السياسية .

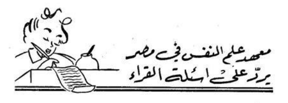
وقد رأت منظمة اليونسكو أن تكرس عدداً خاصاً من « النشرة الدولية للعلوم الاجتماعية » لمناقشات هذا المؤتمر في تلك المسائل الدقيقة « المجلد الخامس — العدد الأول — عام ١٩٥٣ » وتصدر هذه النشرة مرة كل ثلاثة شهور .

وقد كتب في المسألة الاولى جان بولوا الاستاذ في جامعة الجزائر ، وكتب في المسألة الثانية كارل لوينشتين الاستاذ في كلية امبرست بالولايات المتحدة ، وكتبت في المسألة الثالثة السيدة دوروتي بيكاس من المملكة المتحدة ، وكتب في المسألة الرابعة الاستاذ جان مينو السكرتير العام للجمعية الدولية للعلوم السياسية . وتمثل دراسات هؤلاء الخبراء الأربعة بياناً موضوعياً كاملاً لكل ما دار في المؤتمر من مناقشات الخبراء الدوليين الذين وفدوا من ٣١ بلداً .

هذا ، ويضم هذا العدد الخاص من « نشرة اليونسكو الدولية للعلوم الاجتماعية » بيانات اخرى عن الأعمال والدراسات التي تجريها الهيئات المتخصصة ، ونذكر منها على سبيل المثال أعمال الخبراء الذين اجتمعوا في أثينا في العام الماضي لدراسة « تطورات النظم الاجتماعية والقانونية في الشرقين الأدنى والأوسط على أثر التقدم الصناعي . »

★ ★ ★

- توجيهات لبناني — لفيليب ضاهر الكفوري — ٣١ صفحة — حجم كبير — طبع في بيروت
- من صميم القومية — رسائل نشرت في جريدة « الحياة » بيروت — لجورج الكفوري — ٢٠ صفحة — طبع على مطابع « دار الحياة » بيروت
- مشاكل اجتماعية لم تحل بعد — كتاب أصفر ترفعه جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق الى الرأي العام في البلد — ١٠٥ صفحة — شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد
- حيرة — مجموعة شعرية — لماجد اسعد الحسيني من المدينة المنورة — ١١٢ صفحة — حجم صغير — مطبعة دار جريدة الانتقاد بيروت
- القاديانية — لأبي الحسن علي الحسني الندوي — ٢٩ صفحة — حجم صغير — طبع بمطبعة بيداري ماليكاؤل ناسك بالهند
- تبسيط اللاسلكي — لمحمد عاطف البرقوقي — ٣٤٢ صفحة منشورات دار المعارف بمصر
- البورجوازية في شتى مراحلها تأليف ريجين برنو ترجمة انعام الجندي — ١٣٦ صفحة — منشورات حمد ببيروت
- سيجفريد — الجزء التاسع من كتاب الشهر — ١٦٠ صفحة — حجم صغير — منشورات دار مجلة الدنيا بدمشق
- مدموزيل دي موبان — لتيوفيل جوتييه ترجمة اميل خليل بيدس — ١١٢ صفحة — منشورات دار الثقافة ببيروت .



على كل من يريد ان يتوجه الينا بسؤال ان يتكرم بارساله
الى : مصر – القاهرة – المنيرة
٢٣ شارع امين باشا سامي
الدكتور ابو مدين الشافعي مدير معهد علم النفس

★

• احدى قارئات الأديب – سوريا

بعد وفاة والدي أصبحت احب امي مضاعفاً عما كنت عليه من قبل . فغادرت الدراسة لمساعدتها في تربية إخوتي ، فكنت كلما رأيتها باكية حزينة . دامعة العين ، أبكي لبكائها . مضى على تلك الحالة عامان وانا ملازمة والدتي في جميع اعمالها ، وكنت أسعى دائماً الى تعزيتها بسرد بعض القصص المسلية ، وقراءة مقتطفات قيمة وزيارة بعض الأهل والأصحاب ، فعادت – ولله الحمد صحتها اليها وأصبحت في حالة مرضية .

وكان يتردد على منزلنا شاب علمت أنه سيطلب يد اختي لأنها اوفر مني جمالاً ، والآن أصبحت في قلق عظيم بين عقلي وعاطفتي . وكلما سمعت اغنية عاطفية أشعر بحزن عميق في نفسي . ولجأت الى سماع الموسيقى الكلاسيك فيخيل الي ان كل لحن يعزف انما جعل لي خصيصاً .

والآن أصبحت لا اغادر غرفتي واحب الانفراد ، انزوي ساكتة ساكنة استعرض ما مرّ عليّ وما سيجري بي في الأيام المقبلة . وفي اثناء مرضي وصلتني رسالة عن أعز صديقة لي تقول فيها لا تراسليني لأني لن أجيبك ولا أزال جاهلة سبب مقاطعتها لي .

والآن أجبني يا سيدي عن موقفي فإني لا ازال كاتمة سري وهو حب لخطيب اختي ، ولا استطيع ان ابوح لوالدتي بعد ان علمت بالشاب الذي يطلب يد اختي التي احبها كثيراً ، لذلك قررت الا أبوح بسري لأحد لأني متأكدة من اختي فانها ان علمت ما بي فستر فض يد طالبها وانا لا ازال احب استاذي واعبد امي واحترم اختي . اذن ما هي الطريقة الوحيدة لحل مشكلتي أجبني .

– كأنها حكاية مخترعة ويبدو لي أنك نسيت ان الشاب اتجه الى اختك وطلب يدها ، لقد انتهى الأمر ، وليس في امكانك ان تغيري هذا الوضع لأنك لن تقبليه زوجاً إن هو تخلى عن اختك من أجلك ما دمت تحبين اختك كما أنك لن ترضي به زوجاً ان جاءك بعد تخلي اختك عنه من اجلك . واستطعت ان تعالجي امك من صدمة فراق الأب فحاولي علاج نفسك من هذه الصدمة بمواجهة الموقف ، واحذري من الحب « التعويضي » لعل حبك لاستاذك هو حب الوالد محولا . فعليك ان تعوضي فقدان الوالد بطريق علمي لكي تخلصي نفسك من هذا الحب – فابعثي في نفسك الأمل وطالعي قصة « التلميذ » لبول بورجيه وهي مترجمة للغة العربية .

• ا . خ – الاسكندرية

ابني يحبني حباً شديداً ولا يتركني ابداً وافكر ليل نهار في مستقبله وانا أخاف التفكير في فراقه لي ، وهو احياناً يحدثني عن آمـاله في السفر ويحدث لي ذلك عذاباً شديداً واشعر بتقلصات في المعدة وتنتابني أزمة . ولا ارى لي حلا .

– هذه المشكلة شائعة وعويصة الحل ، يشكو منها الأبناء قبل الامهات لأن التعلق الشديد نحو الام يحدث شللاً إرادياً ويبعث الشاب على الخجل والخوف ، ويصاب بنزاع داخلي بين ميوله الاستقلالية الموافقة لرجولته وبين ميوله التي تربطه بك . وكثيراً ما يحدث ذلك ازدواجاً في الرغبات ويستولي عليه التردد ، انك ضحيت كثيراً من اجله فأنصحك بالقيام بآخر تضحية لمساعدته على التحرر منك فيكون ذلك ضرورة ماسة بالنسبة لتثبيت رجولته ، وان شاهد مقاومة منك فليستمر على ما كان عليه من التعلق ولا تساعديه على ذلك لكي لا يثور عليك في يوم من الايام محملا اياك مسؤولية توقف نموه النفسي . فاطميه عن الرضاعة الكبرى بعد ما فطمته عن الرضاعة الصغرى عندما كان طفلا .

• زينب – بغداد

إني في العشرين من عمري وجسمي نما بسرعة واعاني حالات نفسية شديدة لا أستطيع التصريح بها . وانا متدينة وخجولة ومتمسكة بنصائح والدي الذي اتمتع بعطفه عليّ – ولكني اشعر بآلام الكبت رغم امتناعي عن الأكل واسأل ان كانت هناك ادوية تهدئني من الميول الجنسية يمكن للطبيب النصح بها .

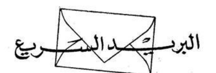
– لا أنصح بتناول الحبوب الكميائية لأنها تحدث هبوطاً عاماً في الجسم والنفس ويكون لها بعد ذلك رد فعل غير حميد ، فليس لك الا طريق العناية بالاكل حتى لا يكون دسماً ولا تكثري من النوم وحاولي شغـل نفسك بموضوع يهمك واقبلي على الرياضة والحمامات الفاترة الى ان تتاح لـك فرصة الزواج .

• شيطان – حلب

اخترت لنفسي اسم الشيطان لأني احتقر نفسي احتقاراً شديداً ويعتقد بعض الناس ان الشيطان يؤثر عليهم ولكني من كثرة ضعفي وميلي للقمار اعتقد أني صرت الشيطان نفسه . ولا اخفي عليكم اني أغري الآخرين على تعلم القمار لكي اخفف اللوم عن نفسي ولكي أجد من يلعب معي . ولو عرفتك شخصياً لكنت حملتك على اللعب معي في الوقت الذي ألجأ اليك لتنقذني من هذا الداء الذي يعرض حياتي الى الانفعال المستمر . وتراني ابحث عن الأخطار وأفرح عندما تحدث مصائب ولهذا أرى اني انقلبت شيطاناً .

– إن تصريحك هذا يخفف عليك عبء الندم ويحسن ان تكثر من القيام به مع اصدقائك . ولا شك أنك غير مطمئن في داخل نفسك فحاول طرد اسباب القلق لتقضي على اسباب الصراع الداخلي الذي يظهر في سلوك الشيطان واقتنع بأن ما تفعله من إجبار الآخرين على اتباع طريقك جريمة خصوصاً إن تعمدت ، وحالتك تزداد صعوبة ان وجدت الوسط الذي يسندها . لهذا حاول الابتعاد عن البيئة التي توحي بالداء .

القاهرة — أبو مدين الشافعي



• الى الدكتور احمد زكي ابو شادي بنيويورك

من السيد مارون عيسى خوري – طرابلس ، لبنان

قرأت في الأديب عدد اكتوبر ١٩٥٣ مقالكم عن خليل مطران شاعر الأقطار العربية واستلفت انتباهي قولكم « هـذا الشاعر اللبناني الفلسطيني الأصل» فما هو البرهان على انه فلسطيني الأصل هل هناك ما يثبت ذلك ويؤكده؟

• الى السيد ايوب الحاج علي فبلي – بغداد ، العراق

لائحة العناوين المطلوبة طويلة جداً ، لذلك سنذكر لك العناوين التي تعرفها على دفعتين ... في هذا العدد وفي العدد القادم ، اما الأعداد القديمة من الأديب فهي مفقودة .

عنوان الأساتذة : الشيخ عبدالله العلايلي ، محمد عيتاني ، الدكتور علي محمد شاق – بيروت – لبنان ، مجلة الأديب

الدكتور فؤاد صروف نائب رئيس الجامعة الأمريكية – بيروت ، لبنان

الدكتور بديع حقي – وزارة الخارجية السورية – دمشق ، سوريا

الاستاذ سعيد عقل – زحلة ، لبنان

Sr. Fouad EL Kichin
Almacen « Verde Luna »
Calle Buenos Aires 32
Puerto La Cruz Edo Anzoategui
Venezuela

الاستاذ عيسى الناعوري – المملكة الاردنية الهاشمية ، عمان ، صندوق بريد رقم ٣٥٢

الاستاذ انور الجندي – سوريا ، السلمية

S. Ex. Sr Omar Abourishi
Ministro da Siria
Legacion da Siria
Buenos Aires — Argentine

• الى الاستاذ نهاد التكرلي – بغداد ، العراق

من الاستاذ نور الدين صمود من رابطة القلم الجديد ـ تونس

شكراً لك يا اخي على الدراسة القيمة التي كتبتها عن الاستاذ عبد الوهاب البياتي المبشر بالشعر الحديث . ذكرت في بحثك في التحدث عن قيمة الألفاظ والكلمات ما يلي: « اما في الشعر فان مهمة الكلمات تختلف اختلافاً جوهرياً عن مهمتها في النثر اي ان الكلمات لا تكون في الشعر ادوات بل تصبح غايات بحد ذاتها » .

وقد اقت كثيراً من الأدلة على صحة ذلك غير انك في نهاية البحث تقول: « وهو قد استطاع ان يقدم لنا في اغلب قصائد هذا الديوان [اباريق مهشمة] نماذج فنية رائعة من الشعر الحديث لا اشك في انها لو ترجمت الى اللغات الأجنبية تستثير الاعجاب في كل مكان » .

فكيف يمكن لشعر اصبحت كلماته غاية بحد ذاتها ان يترجم الى لغات اخرى ويستثير الاعجاب في كل مكان مع انا لو نقلنا العنوان فقط الى اي لغة من لغات العالم لما بقي له ذلك الوقع الموسيقي فضلاً عن ترجمة كل اشعاره ؟

• الى السيد حسن يزبك – اللوكا ، سنغال

ديوان « اباريق مهشمة » للاستاذ عبد الوهاب البياتي لم يطبع بعد، وعندما نعلن عن صدوره في الأديب نرجو ان تكتبوا الينا مذكرين لنرسل اليكم النسخة المطلوبة .

• الى السيد نور الدين ص. – تونس

اذا كان ادباء تونس لا يساهمون في التحرير فهذا ليس معناه ان الأديب لا تنشر لادباء تونس . اما القصائد التي تلطفت بارسالها حتى الآن فهي ضعيفة ونصيحتي لك ان لا تستعجل الأيام واكتف الآن بالتحصيل والدرس . هذا عنوان الشاعرة الآنسة فدوى طوقان : المملكة الاردنية الهاشمية ـ نابلس

وهذا عنوان الشاعرة الآنسة نازك الملائكة: العراق ـ بغداد ـ الكرادة الشرقية – ٤/٢٢ أبو قلام

اما المعلومات التي تطلبها عن الشعر الرمزي فقد سبق واشرنا اليها في البريد السريع عدد نوفمبر ١٩٥٣ فرجو الاطلاع عليها .

• الى الاستاذ ابراهيم الشاطري – ام درمان ، السودان

اكثر هذه المجلات اما عطلتها السلطات او هي توقفت عن الصدور .

عنوان مجلة صوت البحرين : البحرين

وعنوان جريدة الهاتف : العراق ـ بغداد

اما ديوان « اباريق مهشمة » للاستاذ عبد الوهاب البياتي فانه لم يطبع بعد.

• الى السيد سميح مطالقة – ماديا ، الاردن

تعليقك على قصيدة « وحدي مثيت » للاستاذ موسى سليمان تحول الصيغة التي كتب بها دون نشره .

• الى « قارىء » – بيروت

نرجو ان تصرح لنا باسمك لننشر لك تعليقك على دراسة الاستاذ نهاد التكرلي « عبد الوهاب البياتي المبشر بالشعر الحديث » .

• الى كتاب الأديب

نعيد نشر ما سبق ان ذكرناه مراراً وهو : ليس في « الأديب » صفحات متقدمة وصفحات متأخرة فالأديب كتاب يقرأ من الدفة الى الدفة .

• من الاستاذ البير اديب منشىء الأديب

يعتذر منشىء الأديب عن تقصيره في الرد على الرسائل التي تلقاها بسبب وعكة صحية المت به واقعدته عن العمل مدة طويلة وهو يرجو ان يتمكن قريباً من الرد على مراسليه الأفاضل .

جولة الأديب في شهر

المشكلة الثقافية في السودان

بقلم يوسف الشاروني

★

منذ اسابيع دعا اتحاد كلية الخرطوم الجامعية الى اجتماع لينافش الحاضرون موضوعا كان عنوانه « ازمة الثقافة في السودان » لكن ما اجتمع الحاضرون حتى كان هناك شبه اجماع — فيما عدا الاستاذ محجوب المحامي والدكتور عبد الحليم عبدالله اللذين انشآ مجلة الفجر عام ١٩٣٤ — على انه ليست هناك ازمة ثقافية في السودان بل ان هناك جدباً ثقافياً. وكان اساس التفرقة ان كلمة الازمة المستمدة من علم الاقتصاد انما تعني وجود هبوط بعد ارتفاع ، وقحط بعد خصب ، بينما لم يكن هناك في السودان ارتفاع ولا خصب ثقافي في يوم ما حتى نقول اننا الان في ازمة ، بل هي مسألة جدب من اول الامر نريد ان نرتفع عنه الى مرحلة من الخصب . اما جماعة مجلة الفجر فلم يمثلوا الا محاولة محلية فردية لا تمتد جذورها الى الشعب وتشمله . وقد حاول البعض ان يقول بوجود ثقافة في السودان قبل الثورة المهدية ، وهي ثقافة اسلامية دينية ، ولكن يبدو ان الخصوبة الثقافية بالمعنى الحديث المراد بهذه الكلمة الذي يشمل مختلف العلوم والفنون لا ينطبق على هذه الثقافة الدينية التي كانت منتشرة فيما قبل الثورة المهدية . كما حاول البعض ان يتكلم عن المحاولات المسرحية او الروائية او الشعرية التي قام بها السودانيون هنا وهناك من حين لآخر ، ولكن يبدو ان هذه المحاولات كانت اشبه ما تكون بالنباتات الشيطانية التي تنمو بقدرتها الخاصة رغم البيئة القاحلة التي تحيط بها .

وقد اشار الاستاذ مكاوي الى ان الازمة الثقافية هي ازمة عالمية ترتد الى اسباب اهمها الظروف السياسية والاقتصادية التي يجتازها عالم اليوم ، ودليل ذلك هو توقف كثير من المجلات الادبية في اوربا وامريكا عن الصدور . كما ان الازمة ايضاً تعم الشرق الاوسط والبلاد العربية بوجه خاص بدليل توقف كثير من المجلات الادبية فيها . واسباب الازمة في البلاد العربية ترجع — الى جانب الظروف الدولية — الى ظروف خاصة بالشرق العربي كاستبداد حكوماته ووجود الرقابة التي قد تسمح بهزل القول ولا تسمح بجده ، وكالاحوال المعيشية الشاذة التي تعيش فيها الاكثرية بحيث لا تجد وقتاً للقراءة ، وكانتشار الجهل .

وقد قام نقاش حاد حول ما اذا كانت عصور الاستبداد تقتل الادب أم تخرج لنا أروعه ، وضربوا لذلك مثلاً بالادب في عصر ما قبل الثورتين الفرنسية والروسية وكيف ازدهر على يد فولتير وروسو وتولستوي ودستويفسكي وجوركي . والواقع ان الاستبداد الجائر يمكنه — في رأيي — ان يخمد الادب الى حد كبير ، فان لم يقتل الاديب نفسه استطاع ان يمنع عمله من النشر ، وان يشتري الآخرين فيصبحون جميعاً مصفقين مزمرين . اما الحرية فهي لم تمنع الادب من الوجود يوماً ، وان كان نوع الادب الذي تقدمه عصور الحرية مختلفاً في نوعه عن الادب الذي يمكنه ان يتسرب من عصور الاستبداد .

وقد اشار الاستاذ احسان عباس المدرّس بالكلية الى ان الرجل العادي في حضارة اليوم اكثر ثقافة بلا شك من ثقافة الرجل العادي في حضارة القرن التاسع عشر او الثامن عشر . لان وسائل الثقافة المتاحة له تأتي اليه من اكثر من سبيل ، وهي سبل لم تكن متاحة لابيه او جده كالمذياع والسينما والصحف . انما ما نشكو منه هو فساد هذه الثقافة ، هو كيفها لا كمها ، فيمكن للفرد ان يستمع الى كثير مما تذيعه محطات الاذاعة من اغاني وحفلات ، وان يذهب كل يوم لمشاهدة فيلم ، وان يقرأ عدداً من المجلات والصحف ، ثم يخرج في النهاية بمحصول ثقافي ضئيل ، بل هو احياناً محصول موجه توجيهاً خاطئاً مضللاً ، هو ثقافة تخديرية بدلا من ان تكون ثقافة تنيره وتزيده وعياً بالعالم الذي حوله .

اما في السودان ، فالى جانب هذه

الاستاذ يوسف الشاروني

الاسباب والمشاكل البعيدة للناحية الثقافية ، فهناك اسباب لاحلول مباشرة مقترحة . بعضها موجود الان او بعضها يمكن ان يوجد فيما بعد . فوسائل الثقافة حالياً في يد جهات ثلاث : الحكومة والمدرسة والاذاعة . اما الحكومة فعليها ان تقوم بواجبين اساسيين : اولهما ان تتيح الحرية للذين يعملون على نشر الافكار والثقافة في هذا البلد الناشيء ، وفي هذا العهد الجديد ، فليس افضل من اتاحة الفرصة لمختلف الثقافات المتعارضة حتى يستطيع المواطنون ان يميزوا ويختاروا افضلها . وثانيهما ان تقف موقفاً سلبياً من الثقافة في هذا البلد . وما يزال يحضرني اقتراح قديم للاستاذ سلامه موسى بترجمة الموسوعة البريطانية الى اللغة العربية ، وكيف ان هذه الترجمة ، لا يمكن ان يقوم بها افراد لانها لن تستهدف الربح ، بل لا بد ان تقوم بها الحكومة وتنفق عليها . وهذا مثل لما يمكن ان تقوم به الحكومة من عمل ايجابي في سبيل نشر الثقافة . اما المدرسة السودانية فعليها ان تهتم اولا بايجاد المكتبة وتمرن الطلبة على عادة القراءة في اوقات فراغهم او في اوقات معينة ، ولا بأس ان تستعين ببعض الافلام الثقافية تعرض على الطلبة في قاعة مخصصة لذلك في بناء المدرسة ، وعليها من ناحية اخرى ان تهتم ايضاً بتنمية شخصية التلميذ الثقافية والفنية والعلمية فتكشف له عن مواهبه عن طريق جمعيات النشاط المدرسي المختلفة . اما الاذاعة فعليها – الى جانب ما تقوم به من نشاط هام – ان تهتم بالثقافة المسرحية وذلك بايجاد فرقة تمثيلية خاصة بالاذاعة ما دام لا يوجد حتى الان مسرح سوداني يمكن الاستعانة به من حين لآخر ، كما تقدم الاغاني والاحاديث التي تعمل على نشر الثقافة بين الجماهير التي قد لا تصلها وسائل اخرى للثقافة غير المذياع .

ولما كان السودان مقبلا على مرحلة جديدة في حياته السياسية فاننا نعتقد ان مشكلة الثقافة ستتشعب بحيث تقع مسؤوليتها فيما بعد – الى جانب الحكومة والمدرسة والاذاعة – على عاتق البيت والناشر والثقافة . اما البيت السوداني فسيشارك في ذلك بعد تعليم المرأة السودانية وتثقيفها من ناحية ، وبوجود المكتبة كجزء ضروري من اثاث البيت ، فيتعود الاطفال من صغرهم وتحت رعاية الام المثقفة ان يكونوا على صلة وثيقة بأحدث الحركات العلمية والادبية . كما سيشترك في المسؤولية الناشر ، فهذه الدعاية من اهم النواحي التي تكفل للثقافة نشرها ، ويكفينا ان ندرك ان للعقاد كتابا ألفه عن النبي محمد منذ سنوات ، وعدد نسخه لا تتجاوز الالفين فيما سمعت ، ولكن ارتفاع ثمنه وعدم وجود الاعلان الكافي عنه جعله يظل راقداً على رفوف المكتبات مغلفاً بالغبار لم يبع منه الا العشرات ، فلما اعيد طبع الكتاب نفسه في دار الهلال وبيع بقروش زهيدة بعد ان وجد الموزع والمعلن النشيطين بيع منه في شهر واحد ما يقرب من الخمسين الفاً . اما المؤلف فعليه – شاعراً كان ام كاتباً ام رساماً ام سينمائياً – ان يكتب ويصور واقع الشعب وينفعل به ومعه والا فلا رواج ولا اقبال لما يبدع .

هذه بعض الحلول التي مررنا بها مراً سريعا في هذه العجالة لمعالجة المشكلة الثقافية في السودان . وهو اني مطمئن الى ان نسبة المثقفين الى المتعلمين في السودان – وثمة فرق بين المتعلم والمثقف – هي نسبة مرتفعة عن غيرها في بلاد اخرى .

الخرطوم **يوسف الشاروني**

توماس جراي الشاعر الذي خلدته قصيدة

★

في شباط ١٧٥١ نشرت في لندن قصيدة هي اليوم اشهر قصيدة انجليزية ، فقد قرأها ملايين من القراء واعجبوا بها ايما اعجاب . وقل ان تجد بين محبي الشعر من لا يحفظ مطلعها الرائع :

في المساء الكئيب والجرس المحزون ينعي النهار للاجواء
والقطيع المكدود ينساب في المرج بطيء الخطى، كئيب الثغاء
والفتى الحارس المؤود الى المأوى يجر الخطى .. من الاعياء
تاركاً هذه المجالي الحزينات لقلبي أنا .. وللظلماء (١) !!

نشرت هذه القصيدة في كراسة حملت هذا العنوان « مرثية كتبت في مقبرة ريفية » فلقيت اعجاباً عظيما ، وطبعت اربع مرات خلال شهرين ثم تلت هذه الطبعات سبع طبعات اخرى متلاحقة .

لم يكن اسم الشاعر قد نشر في هذه الكراسة ، ولكن الاوساط الادبية استطاعت ان تعرف انه توماس جراي، وان طابعها هو صديقه هوراس والبول . وفي سنة ١٧٥٣ ظهرت القصيدة ضمن مجموعة شعرية صغيرة ، انيقة الطبع ، كانت تضم ست قصائد . ولقد كان جراي – وهو امرؤ خجول عزوف

(١) من « عاشقة الليل » ديوان شعر الشاعرة الانسة نازك الملائكة ، حيث يجد القراء ترجمة شعرية لهذه المرثية الرائعة .

عن الناس – خائفا من ان تكون قلة هذا النتاج الشعري سبباً للتقليل من شأنه فقال لصديقه «والبول» انه يخشى ان يظن القراء ان قصائده الست القصيرة نتاج قلمه !

حياة هادئة

ولد توماس جراي في لندن سنة ١٧١٦ وتلقى العلم في كلية ايتون ثم في جامعة كامبردج . وفي ايتون توثقت عرى الصداقة بينه وبين شابين لامعين موهوبين هما هوراس والبول نجل السر روبرت والبول السياسي الكبير ، وريتشارد وست نجل احد رجال السياسة . وقدوافقت ميول وست هوى من نفس جراي فكانا يقضيان معاً عطلها المدرسية، متجولين في الريف،متمتعين بجمال الطبيعة وقراءة الشعر والقصص العاطفية . ولكن هذه الصداقة لم تدم طويلاً فقد اصاب الردى وست وهو في عامه السادس والعشرين ، وخلف لصديقه حسرة مُرة فاضت في مرثية شهيرة .

عرف جراي المجد الادبي منذ ايام دراسته في كلية ايتون ، فقد اختارته هذه الكلية شاعراً لها ، فكانت منزلته فيها مثل منزلة بيرون في كلية هارو . ولقد ترنم بمديح كليته في قصيدة نبيلة فلسفية يكاد الايتونيون يقدسونها ، فهم يرون فيها حلقة تربطهم بمدرستهم العظيمة . ولا يزال كل واحد منهم يحتفظ بنسخة من ديوان جراي ، جميلة الطبع ، انيقة الغلاف ، اهداه اياها عميد الكلية يوم انهى دراسته فيها .

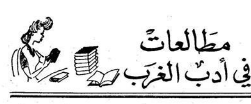
في ربيع ١٧٣٩ بعد ان اكمل جراي دراسته في كامبردج انطلق مع هوراس والبول في رحلة طويلة ، فراحا يتنقلان في ربوع فرنسا ثم قصدا جنيف ليعبرا جبال الالب متجهين الى ايطاليا ، وفي ريجيو المدينة الايطالية افترقا ، فذهب جراي الى البندقية واخذ يطوف في مدن الفن فلورنسا وروما ونابلي، وعاد الى بلاده بعد اسفار استمرت عامين ونصف عام .

قضى جراي بقية حياته في كامبردج وكان يتخللها اوقات يقضيها في لندن وستوك بوجز في بكنجهامشاير حيث تقيم امه . وقد أحب الحياة في كامبردج ، وانصرف الى مطالعة الكتب والدراسة مبتعداً عن العالم الصاخب ، واولى الادب والفلسفة جل اهتمامه ، وظفرت الموسيقى والفنون والعلوم ببعض وقته .

وفي سنة ١٧٧١ مات جراي وانتهت حياته الهادئة ، فدفن في مقبرة كنيسة ستوك بوجز – المقبرة التي جعلتها مرثيته مزاراً يقصده كثير من محبي الشعر في العالم كله .

لقد شرع في نظم هذه المرثية سنة ١٧٤٢ وبعد تسع سنوات أتمها ونشرها ، فكانت نتاجاً شعرياً جميلا جليلا ، وتحفة من الافكار السديدة ينتظمها قصيد جزل له رصانة الشعر الروماني وسموه ، وكانت سبيله الى الخلود في دنيا الشعر .

عن الانجليزية — رزوق فرج رزوق



بقلم اديب مروة

★

ينتظر

ان تمثل قريباً اول مسرحية كتبها الروائي الانكليزي الشهير جراهام جرين بعنوان « غرفة الجلوس » « Living Room » على احد مسارح العاصمة الفرنسية . والمعروف ان جراهام جرين لم يكتب للمسرح بعد ، رغم انه كتب سيناريو « الرجل الثالث » للسينما ، واشتهر بمؤلفاته الروائية امثال « القوة والنصر » و « صخرة برايتون » و « من اعماق الموضوع » .

وعلى الرغم من عدم ميل جراهام جرين الى الكلام الكثير فقد اطلعت مؤخراً على حديث ادلى به صاحب « القوة والنصر » الى مجلة « باريس ريفيو » الصادرة باللغة الانكليزية في باريس كل ثلاثة اشهر مرة ، وفيه بعض الجرأة في الآراء ، والطرافة في الاجوبة .

وقد سئل اولاً عما اذا كان العمل السينمائي ، ولاسيما بعد ان اصبح لديه مألوفاً ، لم يؤثر كثيراً على عمله المسرحي الجديد او عما اذا كان كمؤلف روائي لم يعطِ الحوار ما يستحقه على حساب الحركة L'action ? فاجاب جرين : « لقد تقيدت بقاعدة الوحدات الثلاث الكلاسيكية (وهي وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الحركة) وخضعت لديكور واحد ، ثم جعلت أبطالي يعملون . وماذا يمكن ان تظنوا غير ذلك من الحركة ? فانا لا افهم كثيراً ما تعنيه في كثير من المسرحيات العصرية ، هذه الحركات المصطنعة كاستعمال الهاتف ، او اشعال السيكارة ،

او رنين جرس باب الدخول !... وماذا تريدون ان احدثكم عن السينا ؟ فأني معتاد عليها جيداً ، الى درجة انسى معهـا غالباً وجود الستار ، واني معتاد على الآلة التصويرية — وهي تسجل دائماً ما يراد منها — الى درجة انسى فيها احياناً بأن الممثلين هم طول الوقت فـوق خشبة المسرح ، ومن الواجب ان نفكر بهم دون انقطاع .

وسئل جراهام جرين بعد ذلك عن الدور الهام الذي يقوم به الانتحار في آثاره ؟ (لأن مسرحيته الجديدة « غرفة الجلوس » تنتهي كما يبدو بحادث انتحار كروايته « من اعماق الموضوع ») وعما اذا كان ثمة تناقض بين هذا « الداء الذي يلاحقه » وبين الكاثوليكية التي يدعو اليهـا ؟ فاجاب : — اجل ... هذا صحيح كل الصحة ... ولكن هـدف الرواية لا يخرج اخيراً عن نطاق الكاثوليكية ! — كيف تفسر ذلك ؟ — الكنيسة مفعمة بالعطف كما ترون .

— أتريد القول بان الانتحار في بعض الظروف يعادل شراء الانسان نفسه من جديد ؟

— بهدوء ، ولنقل باني اتخيل المواقف ذات الطابع العام ، او بالاحرى العالمي ، التي يقع فيها أبطالي ولا يمكن ان ينقذهم منها الا الايمان ، مع العلم بان الطرق الحقيقة لخلاصهم لا تبدو سريعا محققة ، فهم يخطئون ولكن حدود الغفران السماوي واسعة . ولهذا السبب الرئيسي يوجد هناك فرق بين عـدم الاعتراف الواقعي ، وعـدم الاعتراف المقصود الذي لا يكتشف دائماً .

وسئل جراهام جرين عما اذا كان كما يقال عنه دائماً — متأثراً بفرنسوا مورياك ؟ فاجاب : — قليلاً كما يبدو لي .

— ولكنك صرحت مرة بأن تأثير مورياك عليك كان بالغاً ؟

— آه ... اجل ... هذا هو نوع الكلام الذي يقال حين يدفع اليه الانسان دفعا ! فلقـد قرأت « تيريز ديسكيرو » لمورياك سنة ١٩٣٠ ، وأثرت بي جداً . ولكني لا اعتقد باني اندفعت كثيراً بتأثري بمؤلفها ، اللهم الا اذا كان الامر بصورة لا شعورية . فكاثوليكية كل منا مختلفة عن الآخر ، لأن خطئي مورياك يخطئون ضد الالـه ، ولكن مخطئيّ أنا ، ولو اندفعوا في ذلك ، ترونهم لا ينجحون !

وصرح جراهام جرين ايضاً بانه لا يعتقد بان احداً يعرف عنه بانه كاثوليكي قبل سنة ١٩٣٨ وحين بـدأ كتابة المقالات النقدية في مجلة The Tablet كان ذلك من قبيل التسلية ، لـكي يسبغ عـلى طريقة نقد الكتب التي تعهدها خطاً مستقيماً من وجهة النظر الكاثوليكية .

★

نوفي

بباريس في الاسبوع الاول من نوفمبر ١٩٥٣ كاتب روسي كبير هو إيفان بونين ، حامل جائزة نوبـل في الادب بعد ان ناهز الثالثـة والثمانين من العمر ، وبعـد ان امضى ثلث حياته الادبية مقيماً في فرنسا ، وقليلون جـداً هم الكتـاب الروس الذين عاشوا هذه الحياة الطويلة . فليون تلستوي الذي كان بونين في بعض الاحيان من أتباعه ، لم يبلغ الثانية والثمانين . ولنذكر ان معظم الفنانين والكتّاب في روسيا ، قضوا نحبهم وهم في عزّ شبابهم ، امثـال بوشكين وليرمنتوف وجوجول وغيرهم ، وهكـذا يعتبر بونين ظاهرة غريبة من حيث طول عمره . عـلى ان حياته الادبية الطويلة والفنية كانت قد انفصلت الى مرحلتين بسبب ثورة ١٩١٧ .

ولد بونين سنة ١٨٧٠ في بلدة فورونيج بروسيا ، وكان قد اوشك على بلوغ الخمسين من عمره حين حدث ذلك الانقلاب الذي حمله على ترك وطنه ، وعـلى تنظيم معيشته من جديد في المنفى . ولعـل لديه بعض الاسباب القوية التي دفعته الى القيام بذلك . وقد شرحها في ذكرياته ، فلم يكن بامكان هذا الاديب قبول عنف الثورة ، او الرضوخ لنظامهـا الجماعي الذي قضى حسب رأيه على حرية الخلق الفني ، وفرض التزامية قاسية على الفكر .

وكان بونين قد كتب في روسيا نفسها الاشعار والروايات التي حققت مجده الأدبي امثال : « القرية » و « سيد من سان فرنسيسكو » و « غطاء الحياة » . هذا فضلاً عن عدد كبير من القصص القصيرة (وقد برهن فيها انه سيد هذا الفن) . ومما هو جدير بالاعتراف ان تجربـة المنفى العنيفة لم تخمد جذوة فكره وخياله ، كما انها لم تقلل من قيمة آثاره . اذ وضع في باريس وفي جراس (جنوب فرنسا) حيث اقام مدة طويلة ، خير مؤلفاته ، واقوى آثاره ، لاسيا في سنواتـه الاخيرة امثال : « حياة ارسنييف » ، « الممرات المظلمة » ، « تتويج الحب » ، « الافراج عن تولستوي » .

ولا شك بأنه لو لم ينف من بلاده لما هجرها ، ولذلك لم يقطع صلته بموطنه الأصلي ، بل بقي على اتصال حميم من الفكر والشعور مع الشعب الروسي .

وقال مرة عند مقارنة نفيه بنفي فكتور هيجو ، وهين ، وبمواطنه هيرزن « ان ابعادي عن روسيا لم يضايقني كثيراً ، ونحن معشر الكتاب نحملُ وطننا معنا انى نرحل » .

ومع ذلك فقد كان بامكانه العودة الى روسيا لو رغب في ذلك ، لأن حكومة موسكو قدمت له الجواز السوفياتي ، مع اعلان مصالحتها اياه سياسيا . ولكنه رفض جميع العروض ولم يقبل ان يسلك خطة بعض اصدقائه كزميله كوبرين الذي عاد الى وطنه ، ولكنه لم يجن اية فائدة معنوية من وراء هذه العودة ، ولا أية ثروة فكرية في انتاجه .

وكان ان وصل بونين الى اوج مجده الأدبي خلال وجوده في فرنسا ، ونال جائزة نوبل عام ١٩٣٣ . هذه الجائزة التي لم تمنحها الاكاديمية السويدية لا لتولستوي ولا لجوركي . وكان هذا التقدير اعظم عيد للهجرة الروسية . وقد شاءت اللجنة التحكيمية في ستوكهلم ان تقدر فيه ، « التقاليد الكبرى الكلاسيكية ، والرجل الذي نذر نفسه بكاملها لخدمة الأدب ، والذي كان يحمل ارفع فكرة عن مهمته الثقافية والذي كان يكتب بلغة صافية »

وخلال الحفلة التي اقيمت على شرفه في ستوكهلم برئاسة الأمير الملكي السويدي ، اعرب بونين عن شكره بالفرنسية ، واشار الى ان هذه اول مرة تمنح فيها جائزة كبرى مماثلة الى كاتب منفي . وصرح قائلا : بان من الضروري ان توجد هناك امكنة مستقلة للجميع ، وبصورة خاصة للكتّاب ، لأن المدنية تتوقف على حرية الفكر والضمير .

ومع شدة ارتباط بونين بصداقة اندريه جيد ، وقد كتب عنه مرة بعنوان « من اجل ثمانين حولا عند مقاوم » فانه كان يعيش نوعاً ما بعيداً عن الأوساط الادبية في باريس . ولكن المثقفين الفرنسيين كانوا يقدرون ادبه جيداً ، ويقرأون آثاره التي ترجم معظمها الى الفرنسية وغيرها من اللغات .

هذا وقد دفن بونين في بلدة سانت جنفييف دي بوا من مقاطعة « الايل دي فرانس » التي تعتبر مدفن عظماء الروس البعيدين عن وطنهم .

★

في الكتاب الذي وضعته مدام هنريت بسيشاري عن ارنست رينان ، ابرزت ناحية البساطة عند هذا الكاتب والفيلسوف الفرنسي المعروف اذ قالت : « لم تكن الاموال تهمه ، بل كان يملك القدرة على عدم التفكير بها ، اما حين ترتفع اثمان الكتب فقد كان يقضي معظم اوقاته في المكتبات امام احدى المنضدات ، ناسياً حاجته الى الدفء بسبب انهماكه في القراءة . وكان غالباً ما يقضي سهراته تحت ضوء شمعة ، وقد عكف على مراجعة كتابه « حياة المسيح » خلال شتاء سنة ١٨٦٣ على هذا الشكل .

وحين كانت نار المدفأة تخبو في غرفة الطعام ، حيث يضطر للعمل ، كان يضع حراماً فوق ساقيه ويستمر في الكتابة غير آبه لشيء .

★

يعلم الجميع ان القصاص الدراماتيكي الالماني جيرار هوبتمان بقي وفياً للنازية حتى ايامه الأخيرة وفي آخر مؤلف له وضعه دون ان يتمه ، وعنوانه « البطل » اشاد ايضاً بالفلسفة الهتلرية .

وقد قال سنة ١٩٣٢ « ان المانيا يجب ان تبتعد عن كل ما يقيدها ، وان لا ترفع رجلها عن المحرك » .

ووصف كتّاب التاريخ بان هذه الوصية كانت خاطئة . ففي عهد المانيا الامبراطورية ، كان يحب القوة . وقال الناقد ارنست كورتيوس « ان الناس كالشجر ما داموا سليمي التربة فهم أقوياء » .

★

في القسم الثالث من « كتاب الزمن » كتب الأديب بول سوداي هذه الشهادة عن الكاتب الفرنسي موريس باريس الذي اصبح فيما بعد رجلاً سياسياً .

لقد غدا موريس باريس بعيداً جداً عنا كما لاحظ ذلك بونكاريه بنفسه ، واصبحت هناك اشياء كثيرة تبعدنا عنه ، او كما قال كاميس ان سياسته تدهشني حقاً . اولاً كيف تمكن هذا الفنان ان يصبح سياسياً ؟ وثانياً لماذا ؟ .

باريس ــ اديب مروة



٢١ ديسمبر ١٩٥٣ - حكمت المحكمة العسكرية في طهران على الدكتور محمد مصدق بالسجن ثلاث سنوات وعلى الجنرال رياحي رئيس اركان حرب الجيش الايراني سابقاً بالسجن سنتين مع الأشغال الشاقة

- اذاعت الحكومة السوفياتية انها على استعداد للتفاوض مع الولايات المتحدة بشأن مقترحات الرئيس ايزنهاور للسيطرة على الطاقة الذرية .

٢٢ - استأنف الدكتور مصدق الحكم الصادر ضده واعلن ان المحكمة العسكرية لم تكن مختصة بالنظر في قضيته .

٢٣ - انتهت دورة الاقتراع الثالثة عشرة للبرلمان الفرنسي التي عقدها لانتخاب رئيس للجمهورية وقد انتخب المسيو رينيه كوتي خلفاً لفنسان اوريول بعد مأزق طويل الأمد . والرئيس الجديد في الواحدة والسبعين من العمر وهو من المحافظين اليمينيين .

- نفذ اليوم حكم الاعدام في لافرنتي بيريا وزير الداخلية السابق في الاتحاد السوفياتي ، بعد ان ادين بتهمة الخيانة واذيع كذلك ان اعوان بريا الستة قد اعدموا معه بعد ان اعترف الجميع بجرمهم امام المحكمة .

٢٦ - شنت قوات الثوار في الفيات نام هجوماً واسع النطاق على اللاووس وقد اعلنت القيادة الفرنسية ان قواتها اصيبت بخسائر جسيمة . وبعث رئيس وزراء لاووس برقية الى هيئة الامم المتحدة يطلب تدخلها لدفع خطر الغزو الشيوعي .

٢٨ - توفي في انقرة رئيس وزراء تركيا السابق شكري سراج اوغلو .

٣٠ - عقد اعضاء الجانب المصري اجتماعاً لدرس الموقف الناجم عن الاتصالات التمهيدية الجديدة بين مصر وبريطانيا لاستئناف محادثات الجلاء .

٣١ - تستمر المعركة في الهند الصينية بعنف في معظم الميادين ويتابع الثوار تقدمهم .

٢ يناير ١٩٥٤ - صرح الرفيق جيورجي مالينكوف الى وكالة الأنباء الدولية فقال : ارجو ان تتحسن العلاقات بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفياتي اذ لا اعتقد انه توجد عقبات جوهرية تحول دون تحسن هذه العلاقات في العام الجديد

٤ - طلبت الحكومة المصرية من السيد فؤاد طوغاي سفير تركيا في مصر مغادرة الأراضي المصرية خلال ٢٤ ساعة وقد جردته من صفته الدبلوماسية .

- اعلنت مصادر وزارة الخارجية الأمريكية ان الولايات المتحدة تريد ان تبدأ على الفور محادثات سرية رسمية بعد موافقة الاتحاد السوفياتي مبدئياً على مشروع الرئيس ايزنهاور وعلى الشروع بمحادثات سرية .

٦ - قدم المسيو بيلا رئيس الوزارة الايطالية استقالة حكومته .

٧ - اعلنت وزارة خارجية الاتحاد السوفياتي انها سمحت للرفيق جيورجي زاروبين سفير الاتحاد في واشنطن بالدخول في محادثات تمهيدية للبحث في اقتراح الرئيس ايزنهاور .

٨ - عين السير روبرت هاو الحاكم العام للسودان الاستاذ اسماعيل الأزهري رئيساً للوزارة السودانية الاولى طبقاً للمادة الرابعة عشرة من دستور الحكم الذاتي بعد ان انتخبه البرلمان السوداني رئيساً للوزارة .

١٠ - نفى المارشال تيتو الأنباء التي جاء فيها ان يوغوسلافيا عقدت مع الاتحاد السوفياتي معاهدة سرية وقد استنكر هذه الأنباء بشدة .

١١ - اقترحت السيدة لاكشمي بانديت رئيسة الجمعية العامة للامم المتحدة دعوة الجمعية العامة للانعقاد فوراً بناء على طلب الهند لبحث القضية الكورية

- اجتمع ناظر الخارجية الأمريكية المستر دالز بالسفير السوفياتي الرفيق زاروبين وبحثا في مشروع الرئيس ايزنهاور .

١٢ - كلف السنيور فانفاني احد زعماء الحزب الديمقراطي المسيحي تأليف الحكومة الايطالية .

١٤ - على اثر بعض الحوادث التي وقعت امس في القاهرة اصدرت الحكومة امراً بحل جماعة الاخوان المسلمين واعتقل بعض زعمائها وقد اعلن اللواء محمد نجيب بوصفه الحاكم العسكري للبلاد حالة الطوارئ .

١٦ - بدأت اليوم الانتخابات النيابية فجأة في ايران والحالة هادئة .

١٨ - صرح المستر دالز في مجلس الشيوخ الأميركي بأن اميركا مستعدة ان تتنازل تنازلاً جزئياً عن حق الفيتو الذي تتمتع به الدول الخمس الكبرى اذا قررت الجمعية العامة تعديل ميثاقها في السنة المقبلة .

٢٠ - تم تسليم الهند الدفعة الأخيرة من اسرى الحرب في كوريا المناهضين للشيوعية البالغ عددهم ٢٢ الف اسير واطلقت القيادة الدولية سراحهم وقد اعترضت القيادة الشيوعية على ذلك .

٢١ - دشنت الحكومة الأمريكية اول غواصة ذرية في العالم وهي الغواصة « نوتيلوس » التي صنعت في الولايات المتحدة وقد بلغت نفقاتها ٥٥ مليون دولار ويمكنها القيام بجولة حول العالم دون ان تضطر للصعود الى سطح الماء ويبلغ طولها ٥٠٠ قدم وتسير بقوة الاندفاع الذري .

- انعقد في تطوان اجتماع كبير لزعماء القبائل والعلماء ورجال الدين في مراكش الخليفية التابعة للادارة الاسبانية للبت بموقفهم من مصير ارتباطهم بالعرش المراكشي وقد اعلنوا انفصال المنطقة الخليفية الى ان تتبدل الأحوال .

٢٢ - قررت الحكومة الفرنسية ارسال مذكرة شديدة اللهجة الى اسبانيا احتجاجاً على الخطاب الذي القاه المندوب السامي الاسباني اثناء مؤتمر تطوان .

٢٣ - استأنف مجلس الأمن الدولي النظر في شكوى سوريا على اسرائيل لمحاولتها تحويل مجرى نهر الاردن وكان امام المجلس مشروع قرار تقدمت به الدول الغربية الثلاث ومشروع آخر تقدم به الدكتور شارل مالك مندوب لبنان ولما طرح مشروع القرار الغربي عارضه السيد فيشنسكي المندوب السوفياتي باستعماله « الفيتو » وقد نال المشروع سبعة اصوات ضد صوتين هما الاتحاد السوفياتي ولبنان وامتناع البرازيل والصين الوطنية .

٢٥ - عقد وزراء خارجية الدول الأربع وهم السادة دالز عن اميركا وبيدو عن فرنسا ومولوتوف عن الاتحاد السوفياتي وايدن عن بريطانيا اول اجتماع لهم في مقر الأشراف الحليف الواقع في القسم الأمريكي من برلين .

٢٨ - اذاع الزعيم اديب الشيشكلي رئيس الجمهورية السورية بياناً اعلن فيه ان الأحكام العرفية قد فرضت في عدد من المناطق السورية وان الجيش السوري تسلم زمام الأمن فيها . وقد اذيع هذا البيان بعد ان اعتقلت السلطات امس واليوم زعماء الأحزاب والساسة كما ان الاقامة الجبرية قد فرضت على بعضهم .

٣٠ - اصدرت محكمة الثورة المصرية حكماً على السيد فؤاد سراج الدين وزير الداخلية السابق والسكرتير العام لحزب الوفد المنحل بالسجن ١٥ عاماً بتهمة افساد الحكم واستغلال النفوذ .